

المسيح الموعود تحت السيطرة الشيوعية

محمود شاكر

مكتبة
القراء العرب

المكتب الاسلامي

المسألة الأولى
تحت السيطرة الشيوعية

محمود شاكر

المكتب الاسلامي

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثالثة
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقية: اسلامي
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقية: اسلامي

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يخضع العالم الاسلامي اليوم لعدد من أنظمة الحكم تختلف في مناهجها وأهدافها وأساليبها وطرق معالجتها للأمور ، ولكن معظم هذه الأنظمة يقف من الاسلام موقفاً متشابهاً موحداً ، وإن اختلفت في المجابهة والوضوح وحمل الشارات والظهور بواجهات متباينة ، كما أن أكثر هذه الأنظمة يوجّه بأيدي خفية واحدة متحالفة ، وإن كانت تأخذ أشكالاً مختلفة تبدي اتفاقها تارة ، وتخفيه أخرى معلنة العداء فيما بينها ، ومصرحةً بهجوم بعضها على بعض . وإذا كان من الصعب توضيح كل ما يتعلق بالأمور السياسية العالمية لما فيها من أسرار ومدخلات ، وما تتضمنه من مشكلات وتناقض ، وما يكتنفها من غموض يخفى على المتتبع إلا أننا نستطيع أن نبين بعض جوانب هذه الأنظمة الضرورية لنا هنا لنقف على الردهة المشرفة على ساحة الميدان والمطلّة على مكان الصراع ، وإن كانت بعيدة لا تثرى منها إلا الرايات ولا تعرف إلا الطرق وتفرعاتها وانعطافاتها ، أما ما يحدث فيها فيحتاج إلى شرفة أقرب . ويمكن أن تبين بعض هذه الجوانب من السياسة المتبعة في الاجزاء التي يسيطر عليها أي نظام من عالمنا الاسلامي ، ومن هنا جاءت ضرورة دراسة الأمصار الاسلامية التي تخضع لنفوذ كل نظام .

إن أهم أجزاء العالم الاسلامي وأوسعها وأغناها يقع اليوم تحت

سيطرة النظام الشيوعي وفي الوقت نفسه فإن هذه المناطق أكثر الأمصار بعداً عن معرفة المسلمين، وأقلها دراسة لصغر رقعتها إذا ما قيسَت بالأرض التي تخضع لهذا النظام ، ولوقوعها خلف ستار حديدي سياسي لا يكاد يخترق ، وللقبض على سكانها بقبضة فولاذية لا يستطيعون معها التفرّج بكلمةٍ أو الاتصال مع العالم الخارجي ، بل إنه مجرد التفكير بأحد هذين الأمرين يجد المرء أمامه السيف مصلتاً ينتظره ، فموت الإنسان قريب وسهل لا قيمة له في تشريع ذلك النظام . لهذا كله فانتنا سنبدأ بدراسة أمصار هذا الجزء من عالمنا الاسلامي .

يحتل العالم الاسلامي مساحة تزيد على ربع مساحة العالم، وتقدر بـ ٣٧ مليون كم^٢ من أصل ١٣٦ مليون كم^٢ هي مساحة العالم كافة^١ ، ويسيطر الشيوعيون على أكثر من ٧ مليون كم^٢ من العالم الاسلامي ، وهي مساحة تقرب من خمس أرض المسلمين اليوم ، ويقسم على هذه الرقعة من اليابس ما يعادل خمس عدد المسلمين أيضاً وهو ١٤٠ مليون نسمة من أصل ٧٢٣ مليون وهو عدد الذين يدينون بالاسلام في الوقت الحالي .

هذه هي الارض ، وهؤلاء هم السكان ، أما النظام وهو الشيوعي فلا بد من أخذ فكرة بسيطة عنه قبل البدء بالبحث .

الشيوعية كفكرة مبدأ قديم ، سار عليه البدائيون في شيوعية الأرض فكانت للقبيلة ، وفي شيوعية النساء فكان للزعيم نساء القبيلة أو كل امرأة في الأسرة ، ودعا الى هذا المبدأ أو الى بعض جوانبه كثير من القادة في العصور الأولى لتحقيق شهوة القائد أو تأمين هوى نفسه ، كما اتخذته القرامطة والحشاشون منهجاً^(١) ، وكذا كل الثائرين على السلطة ،

(١) انظر كتابنا عن القرامطة ، طبع المكتب الاسلامي .

وكل المفسدين في الأرض ، والحاquدين على المجتمع لكسب أصحاب الشهوات إليهم ، وجذب أهل الغواية إلى صفهم عن طريق شيوعية النساء وإثارة كوامن النفس ، وتهديم فكرة الاخلاق وسيادة القانون الذي يحد من الهوى والشهوة، هذا إضافة إلى أصحاب الافكار الهدامة والنظريات الفاسدة . ولكن هذه الفكرة الشيوعية لم تلبث ان تضحل وتزول بنهاية مروجيها ، ويظهر فسادها حتى للذين اتبعوها عندما يصعدون الى أول درجة في سلم التفكير حيث يرون فيها تهديم المجتمع وإزالة التنظيم وتخريب كل بناء اجتماعي .

أما حديثاً فالشيوعية أضحت نظاماً سياسياً تعتنقه جماعة ، وتقيم لها حكومات متعددة وتسيطر على أراض واسعة ، وما من بلد إلا ولها أنصار فيه تتخذ منهم وسيلة لتحقيق أغراضها السياسية وتمدهم بالعون، وينفذون ما يطلب منهم دون مناقشة ودون النظر إلى مصلحة بلادهم التي يعيشون على أرضها . وأول من دعا الى هذا النظام أحد اليهود كارل ماركس ، وكانت من ورائه أصابع اليهود العالمية للدعوة الى الجانب المادي المقابل للنظام الرأسمالي الذي تحركه الأيدي نفسها وتوجهه الاصابع ذاتها ، لإيجاد الصراع بين الطبقات في وقت وجدت فيه ، وبين الاظمة لإفساد الناس وبث الشكوك في العقائد ، ونشر الزيف عن الدين والمجاهرة بالالحاد والدعوة اليه وفتنة المجتمعات ، حيث كان الوقت مناسباً ، وبالتالي سيطرة الذين يكمنون خلف هذا النظام ، وجعل الشعوب تتحرك وفق هواهم ، وتسير المجتمعات حسب مخططاتهم .

واذا كان ماركس يعتقد أن الدين أفيون الشعوب فهو قد غير دينه ، وبذل عقيدته ظاهرياً^(١) ، فاذا كان صادقاً فيما يعتقد فلماذا هذا

(١) وذلك انه ترك اليهودية وتنصر .

التغيير مادام الدين لاقية له أصلاً ، والأديان كلها سواء . حسب زعمه . ان هذا التغيير كان عملاً سياسياً ومناورة واضحة يستطيع بعدها أن يهاجم الديانة التي تعتنقها أكبر مجموعة بشرية في العالم وهي النصرانية وهو منهم ، اذ لا يستطيع أحد أن يهاجم ديانة إلا إذا كان من أتباعها ، وإلا وقف معتنقوها جميعاً في وجهه .

لقد أطلق ماركس هذا الحكم ^(١) وهو الفيلسوف - ولم يطلع إلا على بعض جوانب دينه المهجور والمدعى ، أما الاسلام ومعظم الديانات الاخرى فلم يعرف شيئاً عنها . ولقد كان معظم قادة هذه الفكرة يوم استلمت السلطة من أتباع دين ماركس الأول على الرغم من قلتهم النسبية الضعيفة ومع مناداتهم بالانسلاخ من الدين . كل هذا يعطي إشارة إلى الأصابع الخفية التي تعمل من وراء هذا التنظيم وهذه الفكرة .

هذه الفكرة بسبب التخطيط المنظم الذي تهيئه جماعة في الخلف يحجبها عن الأعين حجاب رقيق شفاف لمن ينظر بعين بصيرة خالي الهوى مجرد الفكر ، وبغطاء كثيف لمن ينظر بعين لا ترى النور ، وبسبب طاعة ذلك القطيع الفقير البائس الذي تصور له الشيوعية الحلم الزاهر والأمل العاطر ، فيحجز بين عقله والتفكير حاجز من الإسمنت المسلح لا يمكن اختراقه . حتى إذا تمّ للزعماء ما يريدون ودخل الفرد من هذا القطيع في فردوس الشيوعية المزعوم تمنى لو لم يكن عمل ما عمل ولكن أتى له، فاذا أراد الخروج - ووجد ذلك الستار الحديدي ، وعرف تلك القبضة الحديدية - استكان ، وخنع ، ومشى مع القطيع كما تطلب الفكرة من أتباعها أن يكونوا منفذين دون اعتراض ومنقادين دون نقاش وخاضعين لرأي القادة والزعماء ما دام يسيطر على العالم نظام يتطور بأسلوب

(١) اي : الدين افيون الشعوب

مادي بحث لا يمكن تغييره، والإنسان فيه معدوم وتأثير العقل عليه ركام لا يمكن تحريره، والبشر يتجه حسب خط لا يمكن تطويره ووفق منهج لا يمكن تحويله، وكل مخلوق لا ينفعه تفكيره سوى القادة الشيوعيين الذين يفكرون نيابة عن القطيع، وكل أفراد القطيع عليهم أن يستقوا من هذا التفكير، ولا يحق لهم أن يروا إلا من هذا المنظار •

بسبب ما ذكر وبسبب ظروف دولية أحاطت بالمجتمعات آنذاك، وبسبب أوضاع خاصة وجدت في روسيا استطاعت هذه الفكرة أن تتسلم السلطة، وأن ترث القيصرية الروسية وسارت على نهجها على الرغم من أنها كانت تعار بها، فأخضعت المسلمين والذين كانوا تحت النفوذ الروسي القيصري لحكمها، واقتفت آثارها في إذلالهم وتشريدهم إحلل الروس محلهم ان وجدت في أرضهم ما يفرها من خصوبة، أو في مواقعهم من منعة أو في ثروتهم من وفرة، وبهذا نشأت امبراطورية روسية حديثة أطلق عليها اسم الاتحاد السوفيتي حلت محل امبراطورية روسية عجوز، وان اختلف المنهج الاجتماعي وتبدلت الفئة الحاكمة •

وبسبب الظروف الدولية أيضاً ونشوء دول كبرى طامعة وأخرى مخاصمة لها، وبسبب التقاء النظامين الكيبرين في عدائهما للإسلام، استمر المسلمون تحت النفوذ الشيوعي في وضع سيء، وتحت ضغط شديد فلم يرتفع صوت للشعوب المسلمة في ظل ذلك النظام، واستمر ذلك والشيوعية في وضع يمكنها من المحافظة على وضعها حتى اشتعلت نار الحرب العالمية الثانية •

انتهت الحرب العالمية الثانية، وخرجت السلطة الشيوعية ظافرة فيها بجانب الحلفاء، وامتد نفوذها شرقاً وغرباً، ففي الشرق نجح الشيوعيون في اغتصاب السلطة، وتسلموا الحكم في الصين، فضموا المناطق الإسلامية التركستانية التي بجوارها إليهم نهائياً، وفي الغرب اتسع النفوذ

الشيوعي في أوروبا الشرقية فأصبحت ألبانيا الدولة المسلمة في قبضتهم ، وأضحى المسلمون في شرقي تلك القارة يخضعون لذلك النفوذ ويكتون بناره . وبهذا أصبح الصراع الدولي أكثر قوة ، وأوسع أرضاً حيث تقارب النظامان في تفوذهما ، وغدت الأصابع المخططة تعمل بحرية أكبر وتجد المجال الأرحب لتنفيذ مخططاتها .

لم يلبث هذا النظام الشيوعي ان انقسم على نفسه ، حيث ظهر لمن مارس تطبيق هذا النظام عدم واقعيته وعدم امكانية تطبيقه كما جاء ظرياً ، إضافة إلى التأخير الذي لحق الدولة من جراء تطبيقها هذا النظام ، فرأى التطوير فيه من أراد أن يسير ركب مظاهر الحضارة المادية العالمي ، فحوّر فيه بعض الشيء وغير ، ووقف في وجهه من وقف ، فبدأت التصفية الداخلية واستمر التطوير ، وفاز أتباعه ، هذا إضافة إلى بعض الخلافات المحلية في هذا الجزء الواسع من العالم من مفهومات وعقليات ورواسب ناجمة عن المحيط والوسط ، وإن التطبيق الذي يتم بالقوة والاكراه لا يمكن أن يتم في الرخاء ، بل لا يمكن أن يرى الناس ذلك الرخاء ، فلا يمكن أن يزداد الانتاج ولا ينمو التفكير إلا عند بعض أشخاص عاشوا عيشة خاصة في ظل المشرفين على النظام وفي عهدتهم فلم يشعروا بالبؤس الذي يحس به الشعب ، ولهذا أعطوا المجتمع صفة التقدم العلمي الآلي وتطبيق العلم على العمل .

ظهرت الصين على رأس قسم من الدول الشيوعية انضمت اليه البانيا ، ويرى هذا الطرف انحراف الروس عن الفكرة الشيوعية كما جاء بها سدتها ماركس ولينين ، وكان على رأس الجانب الآخر روسيا وبجانبها دول أوروبا الشرقية ، وترى عدم مرونة الصين في معرفة حقيقة الشيوعية التي لا تحصل عليها إلا أثناء التطبيق ، والجمود على حرفية النصوص ومفهوم النظريات أمر عقيم لا يأتي بخير ، وقد

أدى هذا الخلاف إلى صدام على الحدود ، هذا إضافة إلى يوغسلافية ذات النظام الشيوعي الخاص فهي تمسك بيدها الواحدة الشيوعية باسم النظام ، وتقبض بيدها الثانية على الاتجاه الغربي باسم السياسة .
إن الاتفاقات بدأت تظهر في الآونة الأخيرة بين قادة النظامين المتباينين ظاهرا بمختلف أجنحة النظام الشيوعي وأطرافه ، وبدأت تطفو على السطح أمور بقيت خافية مدة عن الأعين اكسبت الدعاية لهذا النظام الشيوعي ، وجعلت سلاح خصومه يبدو وكأنه ضعيف من وجهة النظر الوطنية . وبظهورها انجلى الموقف ، وظهر التعاون بين خصوم الأمم وخاصة فيما إذا كانت القضايا تمس المسلمين ، أو ما يتعلق بهم من الأمور .
وعلى الرغم من الخلافات بين أجنحة النظام الشيوعي إلا أن موقفها واحد فيما يتعلق بالاسلام وقررتها واحدة إلى المسلمين لا تختلف ، وهو ما يهمننا في هذا الموضوع فهي :

١ - تعدّ الاسلام عدوها الأول لأنها تجد فيه النظام الكامل الذي يسكن أن يقف أتباعه ضدها وهم على أرض من الصخر ، يبرزون بأرائهم آراءها ، وبنظامهم نظامها الاجتماعي والسياسي والفكري والاقتصادي ويفتدون مزاعمها . وفي الوقت الذي خنع فيه أتباع الديانات الأخرى فإن المسلمين لا تزال فيهم بقية باقية من عنصر الايمان يحركهم للشورة ويدفعهم للانقضاض على الشيوعية - مهما قيل في ذلك - فيما لو اتيح لأولئك المسلمين الظرف المناسب والدعم ، بل فيما لو قلّ الضغط عنهم شيئا . لذا فإن الضغط دائم ومستمر ، والمراقبة والحذر واضحان بشكل قوي .

٢ - إن البلاد التي يسيطر عليها الشيوعيون على تماسّ مع بلاد المسلمين لذا فقد ضمّ هؤلاء الشيوعيون بعض أجزاء بلاد المسلمين إليهم

مباشرة ، واحتوت السلطة السكان ، وابتلعتهم ، وعدتهم وأرضهم جزءاً من الأرض التي تسيطر عليها وأهلها ، وحالت دون اتصالهم بالعالم الاسلامي خاصة وبالخارجي عامة . ولو كانت الأرض التي تخضع للنظام الشيوعي بعيدة عن الأمصار الاسلامية لما قام لذلك النظام دور في ديار الاسلام ، ولما استطاع السيطرة على شبر واحد نتيجة الفوز الفكري ، وحتى كل ما حصل فانما حدث نتيجة السيطرة العسكرية .

٣ - تضرب بعنف ، وهي مستعدة للقضاء على كل من تثار حوله الشكوك بأقل الشبهات ولو أدى ذلك إلى قتل شعب كامل من الشعوب التي تتألف منها الامبراطورية الروسية ، والمذابح معروفة عند الشيوعيين ولا حاجة للدليل عليها .

٤ - تهجر المسلمين الذين تكره وجودهم في منطقة لأقل الاسباب ، تبعدهم إلى مجاهل سيبيريا ، وتنقل الروس إلى أرضهم ، وهي بهذا تقلل نسبة المسلمين في المنطقة ، وتفقرهم ، وتشدد قبضتها على هذه البقعة بالروس الجدد ، وتدعي أن المنطقة روسية .

٥ - تقوم بحرب شاملة ضد المؤسسات الاسلامية والمساجد والآثار ، وتعمل على تهديمها وإزالة معالمها وإذا ابقت بعضها فللاستفادة منها في أمور منكرة تخالف الدين كجعلها حانة خمر أو مرقصاً أو ملهى للاستهزاء بالدين وإزالة أثره من نفوس الشعب ، أو لإيقائها مفتوحة للدعاية عند قدوم وفود تحملهم إليها .

٦ - تلغي الماضي ، وتغير الأسماء وتبدل الأماكن لتفصل بين السكان وماضيهم ، وتعدّ تاريخهم منذ أن طبق عليهم النظام الشيوعي .

٧ - تمنع صلة المسلمين في المناطق التي تسيطر عليها مع العالم الاسلامي عامة ومع العرب خاصة ، فهي تشن حرباً شاملة على اللغة

العربية وبقية لغات العالم الاسلامي المعروفة ، وتفرض لغتها الرسمية عليهم •

ولما كانت هذه المناطق الاسلامية تخضع لعدد من الدول التي تأخذ بالنظام الشيوعي فإننا سنضطر إلى القاء نظرة عامة إلى هذه الأمصار حسب الدول التي تتبع لها أو حسب لغات شعوبها ومواقعها الجغرافية ، ولنبدأ من الشرق إلى الغرب •





البَابُ الأوَّلُ

المُسلمون تحت السَّيطرة الصِّينية

ترکستان

ترکستان منطقة واسعة في وسط آسيا ، تجعل منها الجبال التي في وسطها منطقتين ، وإن لم يكن لعامل الأرض عظيم قيمة ، وسكانها شعب واحد وإن لم يكن لرابط الجنس كبير أثر ، عرفت بهذا الاسم نسبة إلى القبائل التركية التي تنتقل في أرجائها • وصل اليها المسلمون منذ فتوحاتهم الأولى فدانت لهم ، وأقاموا فيها حكم الله ، حتى اذا غلبت عليهم الدنيا ضعف أمرهم فغلبتهم التفرقة، وهزمتهم الجيوش ثم تقاسمتها الدول، فأخذ الروس قسمها الغربي حتى عرف باسم (ترکستان الروسية) وسيطرت الصين على جزئها الشرقي حتى عرف باسم (ترکستان الصينية) على الرغم من أن المنطقة كاملة تشكل جزءاً من الأمة الاسلامية •

الفضل الأول

تركستان الشرقية (الصينية)

تركستان الشرقية منطقة قارية تماماً ، فهي أبعد مكان في العالم عن البحر ، كما تحجزها الجبال العالية أيضاً ، فجبال هيمالايا الشاهقة تمنع وصول أثر المحيط الهندي إليها ، وتبعد عنه مسافة ١٩٣٠ كم ، ولذلك فالحرارة شديدة صيفاً والبرودة شديدة شتاء ، وتتألف تركستان الشرقية من خمس مناطق :

١ - جبال آلتاي في الشمال ، وتفصلها عن منغولية ، يقع القسم الأعظم منها في منغولية ، ويصل ارتفاعها إلى ٤٠٦٠ م ، وكانت هذه الجبال موضع نزاع في تخطيط الحدود .

٢ - حوض زونغارية : ويقع بين جبال آلتاي في الشمال وجبال تيان شان في الجنوب ، وفي غربي هذا الحوض ممرات عالية تصلها بتركستان الغربية أشهرها : طريق الحرير وبوابة زونغارية .

٣ - جبال تيان شان : ويصل ارتفاعها إلى ٧١٥٨ م ، ونظراً لهذا الارتفاع فإن الثلج يغطي قممها ، ويشكل الجلوديات .

٤ - صحراء تاكلا ما كان : ويطلق عليها حوض تاريم ، وهي صحراء واسعة تصل مساحتها إلى ٦٤٧٢٢٠ كم^٢ أي بقدر مساحة العراق وسورية ولبنان ، وهي أكثر الصحاري جفافاً في العالم ، وتندم فيها الأمطار تقريباً ، ويختفي النبات ، وتستحيل الحياة عدا ما كان في بعض الواحات عند مخارج الأودية .

والسفر في هذه الصحراء متعب فمعالم الطرق متغيرة، وارتياحها شاق وكثيراً ما يهوي المرء في مهاويها ، ويجري فيها نهر (تاريم) الذي يبلغ طوله ١٥٠٠ كم ، وتسمح له غزارته باجتياز هذه الصحراء ، ويتشكل نهر (تاريم) من ذوبان الثلوج المتراكمة على الجبال ومن جداول صغيرة تقوم عليها المدن مثل (يارقند) و (كاشغر) و (آقسو) .. وغيرها ، وأحياناً تتبخر المياه في الجداول قبل أن تصل إلى النهر .

ويمكن أن يلحق بهذه الصحراء منخفض (طرفان) الذي تحيط به الجبال ، وينخفض ٢٧٨ متراً عن سطح البحر .

٥ - جبال التين تاغ : وتغزل هذه الجبال التيت عن تركستان ، ويصل ارتفاعها إلى ٦٠٠٠ متر . هذه المنطقة تقوم فيها زراعة الجبوب من قمح وشعير وذرة ، كما يوجد فيها القطن ويزرع التبغ على السفوح ، وتكثر الفاكهة كالعنب ، ويعرف البطيخ الاصفر .

وتنتقل القبائل إلى السفوح الجبلية صيفاً حيث الأعشاب والكلأ والمروج نتيجة ذوبان الثلوج وتعود شتاء إلى الأودية ، وهي تربي الأغنام والماعز وحيوان (اليك) في السفوح الجبلية ، والابقار في الواحات ، والجبال ذات السنامين في قلب الصحراء .

وعلى الرغم من أن الدراسات الجيولوجية لا تزال ضئيلة فإنها تدل على وجود كميات كبيرة من الفحم الحجري وكميات من النفط ، ثم هناك الاورانيوم والرصاص والتوتياء والتتغستين والصودا والملح وتقدمت الصناعة أخيراً وخاصة النسيجية منها .

وتركستان ذات موقع تجاري ، وفيها ممرات وطرق عالمية .

الحياة البشرية :

تبلغ مساحة تركستان الشرقية ١٧٤٥ر٧١٠ كم^٢ أي أكبر من مساحة ليبيا بقليل ، وتساوي مايقارب عشرة أمثال مساحة الجمهورية العربية السورية ، ويبلغ عدد سكانها ثمانية ملايين نسمة ، فالكثافة قليلة لا تزيد على خمسة أشخاص في الكيلو متر المربع الواحد ، وليست قلة الكثافة هذه نتيجة ضيق الأرض الزراعية فحسب وإنما تعود أيضاً إلى الاحداث التي مرت على البلاد ، والنكبات السياسية التي اجتاحتها فقلبت العهد الزاهر يوم كان الاسلام يحكم تلك الارحاء إلى اطلال وخرائب ، ومن يقيم اليوم على هذه البقعة من الأرض لا ينتمي إلى جنس واحد ، إذ جعلها موقعها التجاري عرضة لمزور أجناس كثيرة ، ولدخول أقوام عديدة ، تأتي للسيطرة عليها ، وللمحافظة على طرقها التجارية، أو تعمل في التجارة ثم تستقر فيها ، أو فراراً من مناطقها المختلفة والتجاء إليها ، وأهم هذه الأجناس :

- ١ - الأويغور : ويشكلون ٨٠ في المائة من السكان ، ويسكنون النصف الجنوبي من تركستان الشرقية.
- ٢ - القازاق : ويشكلون ٩ في المائة من السكان ، ويسكنون القسم الشمالي من المنطقة .
- ٣ - صينيون : ويشكلون ٥ في المائة من السكان .
- ٤ - القيرغيز والأوزبك : قدموا إليها من تركستان الغربية عند سيطرة الروس على أرضهم المتاخمة لهذا الجزء من البلاد .
- ٥ - المغول : وقد دخلوا البلاد في القرن السابع الهجري .
- ٦ - الهوي : وهم من أصل عربي ، وقد دخلوا البلاد في مناسبات عدة ، ولعل بعضهم كان من الفاتحين الذين قدموا مع قتيبة بن مسلم الباهلي .

٧ - الروس : الذين فروا اليها مؤخراً هرباً من ظلم أبناء جلدتهم لهم ، وبعضهم ممن انتقل اليها عندما كانت هدفاً للاستعمار الروسي .
يبنى السكان بيوتهم من الآجر المشوي أو الطين المخلوط مع القش ،
وتسند هذه المادة هياكل خشبية ، وتمتاز المنازل بضيقها ، وقرب بعضها
من بعض ، وبدأت تظهر البيوت الحديثة في الآونة الأخيرة .

واللباس السائد هو القميص الطويل والسرراويل ، وكلها مصنوعة
من القطن الملون ، وهذا النوع من اللباس هو اللباس الشعبي .

انتشرت اللغة العربية بعد الفتح مع انتشار الاسلام، وأصبحت اللغة
الرسمية والوحيدة ، وعندما ضعفت الخلافة عمت الفارسية ، ثم سادت
التركية ، ويتكلمها السكان اليوم أما الكتب الدينية فهي بالعربية وتليها
الفارسية ، والآآن تفرض عليهم اللغة الصينية .

يدين أكثر من ٧٥ في المائة من السكان بالاسلام ، وهم جلّ
السكان الاصليين ، أما الوافدون فقد احتفظ كل بديانته ، وقد غابت
اليوم مظاهر الديانات .

وأشهر المدن : أورومجي : وهي العاصمة وتحمل اليوم اسم (تيهوا) .
وكاشغر : وقد اطلق عليها الشيوعيون اسم (شوفو) و (يارقند)
وتسمى حالياً (سوجي) .

و (خوتان) وسماها الحكم الجديد (هوتين) . و (آقسو) وحملت
اسم (ونسوه) ، وواحة (حامي) وعرفت باسم (كومول) هذا إضافة الى
واحة (طرفان) .

وهكذا فقد تغيرت اسماء المدن لينقطع حاضرها عن ماضيها
الاسلامي الزاهر ، وعُدّ تاريخ المنطقة بدءاً من تطبيق النظام الشيوعي
عليها ، ونُسب الى الماضي كل صفات السوء من جهل وفساد ، واختلال
لنظام الأمن ، وانتشار الخرافات والعقائد الباطلة التي صنعتها

(البورجوازية) واطلق عليها اسم (الدين) •

تطلع الصينيون الى حكم منطقة تركستان منذ القديم لكثرتهم حتى كادت الأرض تضيق بهم على رحبها وسعتها على حين أن تركستان وهي نجاورهم فقيرة السكان ، قليلة الموارد ، ولكنها في الوقت نفسه ذات مركز تجاري مهم ، فقد حكمتها اسرة هان الصينية منذ عام ٢٠٠ ق م ، ولم يكن الحكم الصيني هذا مستمراً ، كما لم يكن يعمل لاعمار البلاد وإنما كان الصينيون تجاراً يقيمون في الواحات ، ويشرفون على الطرق الرئيسية ، وهكذا كان الاستعمار الصيني آنذاك يكتفي بتأسيس مراكز له يسيطر منها على ما يريد ، وكانت الزعامة والسيطرة هي التي تحتل المركز الأول في المجتمعات ، فأقام الصينيون في المواقع ذات الاهمية الخاصة ، وأخذوا الاتاوة من القوافل ، والضرائب من الشعب ، وعاشوا حياة العزة والكبرياء حاكمين مترفين وأغنياء موسرين •

ثم وصل العرب المسلمون الى تركستان ، فبعد أن فتحوا بلاد ما وراء النهر بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي عام ٩٥ هـ ، ووصلوا الى حدودها الشرقية ، الى سفوح تلك الجبال الشاهقة ، أعلى جبال العالم هناك حيث تنتصب هضبة بامير التي تسمى سقف العالم وجبال تيان شان وغيرها من المرتفعات الشامخة تلك الحواجز المنيعة ، لم تحل دون تقدمهم ولم تقف أمام هدفهم ومقصدهم ما داموا لا ينظرون إلى الأرض ولا يفكرون إلا في الجنة ولا ينتظرون النصر إلا من الله ، فلو كانت غايتهم السلب والنهب أو الفتح والقتل أو الاحتلال والاستعمار لثقلت بهم الخيل ، وحطت بهم الهمة ، وفترت فيهم العزيمة ، ولو كانت غايتهم الوصول الى أماكن منيعة تقيهم شر الجوار ، وتدفع عنهم خطر الاعداء لكانت هذه الحدود أفضل ما أوجده قدرة الله ، ولكانت الفتوحات توقفت عند أقدامها بما سجلته من انتصارات ، وكما اجتاز المسلمون هذه المواقع في المشرق كذلك

اجتازوها في المغرب ، فركبوا البحر الذي حال بينهم وبين أوروبا وسكانها ، ولكنه الايمان الذي دفعهم الى ان يتجشموا المخاطر ، وركبوا المخاوف غير مبالين . ولو كانت غايتهم المال والمغانم لما وصلوا في الأصل الى تلك الامصار النائية والاقاليم البعيدة ، ولاقتصر زحفهم على المناطق الخصبة والارجاء الغنية ولابتعدوا عن الصحارى المجذبة والأجزاء الماحلة والقفار الواسعة والتي كانت في الواقع تشهد أكثر معاركهم وتقدم جيوشهم وتحركاتها وهي لا تنتج إلا الشوك ولا تنبت إلا القتاد . ولو كانت غايتهم السيطرة لاكتفوا باحتلال المراكز الهامة والمواقع ذات الاهمية خاصة وان جندهم قليل وعددهم ضئيل ، ولكان عملهم عمل أوائل المستعمرين من الاوروبيين . ولكن كانت غايتهم اعلاء كلمة الله ونشر العقيدة واخراج الناس من الظلمات الى النور .

اندفع المسلمون في تلك الجبال ، واجتازوا قممها ، ونشروا الاسلام في ربوعها ، ولم يلجأوا اثناء تقدمهم على شيء ، ولم يفكروا بأرضهم ولم يرتبطوا بترابهم ، ولم يخافوا على أهليهم من بعدهم حيث إن وليهم الله ، فلو فكروا لأضاعوا النصر وخسروا المعركة ، وعادوا إلى الموطن الذي ارتبطوا به ينتظرون الغزاة لتستذلهم ، وتطأ ديارهم ، وتجوس خيول اعدائهم أرضهم ولقد طلب المسلمون الموت فوهبت لهم الحياة ، وسادوا الدنيا عندما طلبوا النصر من السماء ، وعندما ارتبطوا بالأرض واخلدوا اليها أضاعوا أرضهم ، واذلهم الله حتى سلط عليهم شذاذ الآفاق من اليهود .

انحدر المسلمون على السفوح الشرقية لتلك الجبال يرفعون راية الاسلام ، وينشرونه بين السكان الترك .

توقف انتشار الاسلام بتوقف الفتوحات الكبرى ، واضطراب النظام الداخلي وكثرة الأحداث ، ولكن اذا كان قد توقف انتشار الاسلام

والعمل له عن سبيل الجيوش والغزوات ، فان العمل له لم يمت في قلوب المسلمين ، ولم يضعف من نفوس المؤمنين ، ففضل كثير منهم العمل بشكل شخصي والتفرغ للدعوة إلى دين الله ، والانزواء عن الميدان السياسي والابتعاد عن الاحداث داخل البلاد راغبين في الثواب والاجر في هداية البشر ، كما أن بعضهم انتقل تاجراً في البلاد ، وركب بعضهم الآخر البحر ولم تكن التجارة سوى وسيلة للاتصال بالأهلين والدعوة الى الاسلام ، وهذا ما ساعد في دخول أعداد من الناس في دين الله •

اعتقد الصينيون ان المسلمين قد ضعفت قوتهم ، واضمحلت شوكتهم ، وذهبت ريحهم نتيجة الخلافات الداخلية اثناء قيام دولة بني العباس وزوال دولة بني أمية ، فتقدم جيش صيني نحو الغرب عام ١٣٤هـ - ٧٥١ م ، فأسرع المسلمون للاقافته وهزموا ذلك الجيش الصيني ، وطردوه من تركستان واستمر الحكم الاسلامي فيها • ولكن غلبت على المسلمين بعد ذلك الدنيا ، واستبدت بهم الاطماع ، وما غلبت الدنيا على قوم إلا فرقته ، وما تفرق مجتمع إلا انصرف افراده بعضهم الى بعضهم يتقاتلون ، وما تقاتل أبناء شعب إلا أذلهم عدوهم ، وقهرهم خصمهم •

حكم المغول الصين ، وسيطروا على تركستان ، واستعملوا بعض العمال المسلمين فساعد ذلك على انتشار الاسلام ، كما أن المغول أنفسهم دانوا بالاسلام بعد مدة ، فأسلم سكان الشمال والغرب •

عاد الصينيون للسيطرة على تركستان ، ولكنهم في هذه المرة بدأوا يستولون على البلاد جزءاً جزءاً ، فما تركوا نقطة إلا وكانت تحت اشرافهم ومراقبتهم ، كما تسللوا الى الحياة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة في جميع أرجاء مصر ، لانهم لم يستطيعوا في هذه المرة القبض على زمام الأمور باحتفاظهم بمراكز قليلة دان سكانها بالاسلام ، وأصبحت لهم

شخصية متميزة ، وما امتاز انسان بشخصية الا وكانت له الكرامة ،
والكريم يرفض الذل والعبودية ، ويطلب العزة والاستعلاء وما امتازت
دولة بشخصيتها إلا وكانت لها المنعة والقوة والغلبة •

وقد ادركت الصين ان هؤلاء القوم اليوم غير ما كانوا عليه بالامس،
فقد قلبهم الاسلام من أناس يقبلون الذل والخنوع ويرضون بالاجنبي
إلى أناس يرفضون الاستعمار والعبودية ، ويرفضون الوصاية
والواقع الأليم وحكم الدخيل • كما ادركت الصين ان السيطرة عليهم
نوجب الاشراف على مرافق الحياة كلها ، وتوجيه أجهزة الدولة كافة ،
وليتمكن الصينيون من الاستمرار في الحكم عمدوا إلى اضعاف شخصية
التركستانيين ، وذلك بإبعاد الإسلام عن النفوس ، ثم جعلهم يرتبطون معهم
في نظام اقتصادي واحد ومعركة سياسية واحدة ، وبذلك تضمحل
شخصيتهم ويقبلون الذل ، فيمكن هذا للصين في الحكم ، ولكن ذلك لم
يتم بشكل سهل ، ولم يحدث بلا مقاومة ، فقد قامت ثورات كبيرة ،
وأريقت دماء كريمة ، وسقط شهداء برة في سبيل المحافظة على الشخصية
الاسلامية وتمييزها عن غيرها في الاقتصاد والسياسة والحكم ، فمارتبط
شعب بغيره الاضمحل كيانه واصبح ملحقاً بغيره لاقية له بين الشعوب ،
وماسار مجتمع في مركب سواء الا ذابت شخصيته وانعدم مركزه وأضحى
تاباً لغيره من المجتمعات تحركه يدها وتسيره حسب اشارتها وعندئذ
يصل الى مرحلة الموت •

وجاءت الاسرة المائشورية إلى حكم الصين عام ١٠٥٤ هـ - ١٦٤٤ م
وامتد حكمها أكثر من ثلاثة قرون حتى ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م فقد
اضطهدت هذه الاسرة المسلمين ، وسامتهم سوء العذاب ، فصادت أملاكهم
وأخذت أموالهم ، واتهكت حرماهم ، مما جعل الثورات تندلع في كل
مكان من قبل المسلمين ، وأعيت الحيلة للحكام في القضاء على هذه

الثورات حيث لا تغلب العقيدة بالسيف فلجأوا الى الدسائس بين المسلمين حيث فترقوا صفوفهم، وأخذوا ثوراتهم، وأخيراً استتب الأمر للصين وقد خسر المسلمون في هذه الثورات ربع عندهم، ولكن اذا كانت الثورات لا تبالي بالضحايا، ولا تنظر دعوة الحق إلى ما تخسره أثناء الطريق، فالدرب وعر وشائك ومخفوف بالمكاره، ولا بد من الوصول إلا انه يجب الاستعداد والتوقيت الواحد، واختيار الزمن لا أن ثجرة الى المعركة في الوقت الذي يريده العدو وهذا ما كان ينقص الثورات التي اندلعت في تركستان وعموم الصين . وبعد أن أخذت الثورة في انحاء انبلاد كافة أخذت الدولة الصينية بيدها أمر الادارة، وجعلت على كل مدن تركستان الكبيرة مفوضاً امبراطورياً وقائداً عسكرياً .

وفي عام ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م اغتيل حاكم تركستان الصيني، وأعقبه قيام ثورة ضد الصين، وكانت روسيا آنذاك تطمع بمدء تهوذها إلى شرقي تركستان فقدمت المعونة والدعم للمجموعات المتحاربة وأخيراً كان دعمها للصين وقضي على الثورة، وبقيت قوات روسيا بجانب قوات الصين في تركستان، وفي الحرب العالمية الثانية أرسلت حكومة روسيا إمدادات عسكرية إلى حكومة الصين الوطنية عن طريق بوابة (زونغارية)، ولكي يحمي الروس خطوط امداداتهم أقاموا مراكز عسكرية فسي (زونغارية) وكانوا يهدفون من وراء ذلك مدء تهوذهم في تركستان . اضطرت روسيا إلى الانسحاب من تركستان الشرقية عام ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م، وقد أخذت معها جميع المنشآت الاقتصادية التي أقامتها في البلاد .

وفي اعقاب الحرب اندلعت عدة ثورات في المنطقة بلغم من منغولية وروسيا، وفي عام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م قامت مجموعة من القازاق بثورة ضد الحكومة الصينية، واستطاعت القضاء على قوات الحكومة المحلية،

بما حصلت عليه من دعم ، واصلت قيام جمهورية تركستان الشرقية ،
وكان نفوذ الروس قويا . وشرعت الشركات الروسية سرّاً في استغلال
الثروة المعدنية في تركستان .

نجح الشيوعيون في السيطرة على الصين ، وضموا تركستان اليهم
وأطلقوا عليها اسم (سينكيانغ) أي : المقاطعة الجديدة ، وبدأوا بنقل
السكان الصينيين اليها . كما وقعوا في خلافات مع الروس حول
الاستثمارات في المنطقة .



الفصل الثاني

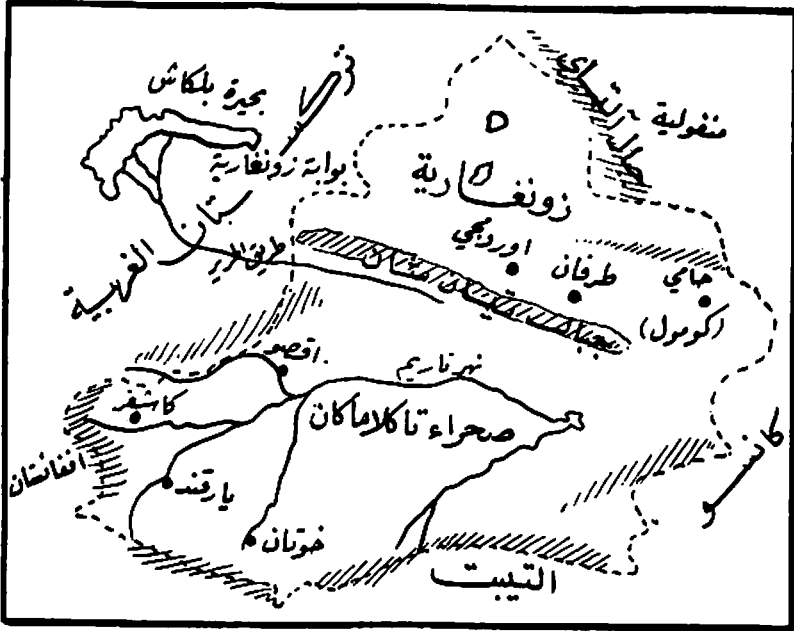
المسلمون في الصين

ليست تركستان الشرقية المنطقة الاسلامية الوحيدة في الصين اليوم، وانما هناك مناطق أخرى، فالمسلمون ينتشرون في كل أجزاء الصين كانت نسبتهم تختلف بين مقاطعات وأخرى، فهناك مناطق يغلب عليها الاسلام وأجزاء يندر فيها أتباعه ، هذا التوزيع ناتج عن الطرق العديدة التي انتشر فيها الاسلام في تلك الارحاء وعن أهداف الحكومات الصينية المتعاقبة .

ان دخول الاسلام إلى الصين عن طريق التجارة البحرية، جعل المسلمين يتوزعون في المناطق الساحلية، وخاصة في المراكز الكبرى مثل (كاتون) و (شانغهاي) ومدن (شانتونج) .

ودخول الاسلام الى المناطق الصينية الوسطى كان عن طريق التجارة الداخلية وتنقل الدعاة في تلك الفياقي ، لذا فهم يقلون في هذه الانحاء عدا يوتان التي حكمها بعض المسلمين فانتشر الاسلام فيها .

اما المناطق الغربية من الصين فقد كثر فيها المسلمون نتيجة القرب من المناطق الاسلامية واتصالها مع تلك الامصار التي فتحها المسلمون أيام فتوحاتهم الواسعة ، مثل (كانسو) و (يننغ هسيا) التي تعد من (كانسو)



فصلها الاستعمار عنها ، وهذه المنطقة جزء من العالم الاسلامي وتتمه له
في الشرق •

ويمكن أن نضيف أسباباً أخرى لهذا التوزيع وهو أن حكام الصين كانوا يخشون من رعاياهم المسلمين ، ويحذرونهم ، ويعلمون رغبتهم في تجمعهم لتكوين أمة ، وإقامة حكومة لهم مستقلة تأخذ بتعاليم دينهم ، والعقيدة وحدها هي التي تحملهم على تكوين أمة واحدة مختلفة عن غيرها متميزة بشخصيتها وأفكارها ، لذلك عمد الحكام الى توزيعهم في مختلف أجزاء البر الصيني الواسع بشتى الطرق كالتوظيف والنقل والاكراه في أكثر الاحيان •

وعلى كل حال فعدد المسلمين في الصين يزيد على ٧٠ مليوناً ، وهو عدد غير قليل ، ولا يستهان به ، وهم يحاولون ان يتقصوا أخبارنا ، ونحن

فجهل كل شيء عنهم على الرغم من كل ما يقال ، وأودّ هنا أن أورد جملة
لرئيس وزراء الصين الشعبية قالها لأحد الوزراء العرب أثناء زيارته
للصين عام ١٣٨٥ هـ : (ان العرب الآن هم أشد الامم إهمالا للسياسة
والاستفادة من الظروف وكسب ود الشعوب فان العرب ٦٠٠ مليون
مسلم ، ويستطيعون أن يحركوهم حسب إشارات أصابعهم بكلمة واحدة
هي (محمد) ان استطاعوا أن يحسنوا الصلة بهم ، وان في الصين
عشرات الملايين من المسلمين ، وعلى الرغم من جهلهم بالاسلام فانهم اقرب
اليكم منا) •

* * *

الباب الثاني

المسلمون تحت السيطرة الروسية

يسيطر الروس على مناطق واسعة من البلاد الاسلامية ، و نظراً لهذا الاتساع فائنا سنقسمها الى أربع مناطق جغرافية وهذه المناطق الأربع تتفق مع التقسيمات الادارية حسب الاجناس، ومع تاريخ انضوائها تحت السيطرة الروسية ، وهي :

- أ - تركستان الغربية •
- ب - المسلمون في روسيا •
- ج - سييريا •
- د - قفقاسيا •

الفضل الأول

تركستان الغربية

الحياة الطبيعية :

في أواسط آسيا ، وبين المرتفعات تمتد حوضه كبيرة كانت تملؤها المياه ، ردمتها الرواسب والمجروفات التي حملتها اليها الانهار المنحدرة من الجبال العالية المحيطة بها، والتي تتلقى الامطار لارتفاعها ، فتتشكل منها تلك المجاري المائية ، أما وسط الحوضه فمنخفض ، وبعيد عن أثر البحر مما يجعل الامطار قليلة ، وكان صيف المنطقة حاراً لاهباً ، فاستطاعت هذه الحرارة اللافتحة أن تبخر كميات كبيرة من المياه المتجمعة في الحوضه ، كما أن شتاءها جاف بارد فلا تجلب الرياح الغربية إلا كميات ضئيلة جداً من المطر تهطل على جنوب الحوضه . هذا المناخ أتى على معظم المياه ولم يبق إلا آثاراً منها، أهمها : بحر(الخرز) وسطح مياهه دون سطح البحر ب ٢٦ متراً في شماله وبحر (آرال) أو بحيرة (خوارزم) وبعض المياه المتجمعة على شكل بحيرات صغيرة أو مستنقعات لقلة مياهها وشدة التبخر ، ولولا المياه الغزيرة التي تصل الى المساحات المائية الواسعة لزالَت معالمها ، وانحَت آثارها .

في هذه المناطق الصحراوية عاشت قبائل فرضت عليها طبيعة المكان الارتحال وأجبرها الكلاعلى الانتقال، يعود معظمها الى أصل تركي، وهذا الاصل هو الذي أعطى المنطقة الاسم .

تسبب الامطار التي لاتزيد على ٢٠٠ مم سنوياً إلى نمو نوع من الحشائش القصيرة التي يطلق عليها اسم استبس وفي المنطقة بعض المجاري المائية التي تتغذى من الجبال المرتفعة المحيطة بالمنطقة والتي تتلقى مزيداً من الامطار ، ومن ذوبان الثلوج المتراكمة على تلك الجبال هذه المجاري جعلت الحياة تقوم على ضفافها وعلى طول مجاريها حيث يسايرها شريط من الخضرة وهناك بعض الينابيع القليلة في المنطقة التي قامت حولها المدن والقرى ، فكانت واحات منتشرة في قلب تلك المنطقة الجرداء وهذا ما جعل سكان المنطقة منذ القديم قسمين : بدو يرعون في مناطق الاستبس وحضر يسكنون الواحات ويستثمرون الاراضي التي تطلها مياه الواحات والانهار.

وتقوم زراعة الأشجار والثمار في الأودية الجبلية كما هي الحال في وادي فرغانة وفي الواحات وعلى ضفاف المجاري المائية ، ويساعد على نمو الفاكهة في هذه المنطقة الواقعة على درجات قليلة العرض كما يمكن زرع المزروعات الجافة كالقطن وغيره ويساعد على ذلك التربة اللحية الغنية المؤلفة من المجروفات المتجمعة في تلك الحوض والملائمة كثيراً للزراعة .

ومع التوسع العلمي تطورت الزراعة أشواطاً نحو الامام فأقيمت المشروعات الاروائية ومُدَّتْ الأقنية مما أسهم في زيادة الانتاج ، وأصبح القطن والفاكهة من المواد الرئيسية الهامة ويضاف إليها زراعة الحبوب والشوندر السكري .

وكذا فان التقدم العلمي قد دفع الدولة لاستثمار الثروات المعدنية الدفينة في باطن الارض وكانت المنطقة ذات موارد هائلة من الكروم والرصاص والنحاس والتوتياء اضافة الى الحديد والذهب والفضة

وغيرها كثير من نطف ومنغنيز، بل إن المنطقة لتعدّ أغنى مناطق الامبراطورية الروسية ، وتقدّم أكثر من نصف النحاس والرصاص والتوتياء الذي تنتجه الامبراطورية ، كما تعدّ أولى مناطق العالم بانتاج الكروم هذا بالاضافة الى بقية المعادن الموجودة فيها •
كما تربي المنطقة أكثر من ربع الماشية في الامبراطورية •

الحياة البشرية :

يقيم في هذه المنطقة الواسعة التي تقرب مساحتها من أربعة ملايين كم^٢ أي قريبة من مساحة آسيا العربية ، يقيم على أرضها أكثر من ٣٥ مليون نسمة ، وبهذا فالكثافة لاتصل إلى أكثر من ٩ أشخاص في الكم^٢ الواحد ، وهي كثافة قليلة لذا فقد جاءتها موجات من الروس المستعمرين يحكمون في المنطقة ويستثمرون خيراتها ، ويشددون قبضة حكومتهم على سكانها •

إن تسعة أعشار السكان من الاتراك المسلمين ، ومعظمهم من أهل السنة ، إلا أن هناك ثلاثة ملايين من الشيعة يعيش أغلبهم في جمهورية (طادجكستان) ويوجد ١٠٠ ألف اسماعيلي في هضبة بامير ، وهم من أتباع (آغا خان) ، ولهم اتصال بالهند وليس للشيعة أي عطف على العرب أو تركيا وانما تجد إيران منهم كل عطف وتقدير •

ومعظم القبائل تمت الى :

- ١ - القازاق •
- ٢ - الاوزبك •
- ٣ - التركمان •
- ٤ - القيرغيز •
- ٥ - الطادجيك •

كل واحدة منها خان مستقل اعتنق ديانة المنطقة التي يحكمها فدخل خانات
غربي آسيا واواسطها في الاسلام ، ودان خان الصين بالبوذية •
وقام تيمور يتزعم التتار ووسع رقعة امارته وأصبحت عاصمته
(سمر قند) تتبعها أقاليم شاسعة • وورث التتار امبراطورية المغول
الواسعة واحتفظ تيمور بلقب امير ، وأقام خانا من أحفاد (جنكيزخان)
في (سمر قند) رمزا للتحالف القديم بين المغول والتتار وصورة أثرية ،
وكان الامر كله مرهونا بيد (تيمور) ثم فتح فارس والعراق والشام
وآسيا الصغرى وروسيا •

وبعد موت (تيمور) عام ٨٠٨ هـ ١٤٠٥ م اختلف الامراء من بعده
على العرش فجزأت الدولة الواسعة واستحالت قوتها الى ضعف ، وبدأت
الولايات تنفصل عنها ومن هذه الولايات روسيا التي بدأت تقف على
قدميها وبدأت تحارب التتار وتحتل بلادهم ، وتتابع توسعها في الشرق في
بلاد ما وراء النهر التي كانت تعيش في فوضى سياسية •

سيطر الروس على المنطقة كاملة ، وابتدأوا بتطبيق سياسة مرسومة
تهدف الى ابقاء المنطقة خاضعة لهم وابعاد المسلمين عن دينهم كي يتم
لهم ذلك ، وقامت المذابح والارهاب وطرد السكان وترحيلهم عن
مواطنهم •

وأبقى الروس المجموعات الاسلامية غير موحدة ، وكان المسلمون
في تركستان يخضعون للحكام العامين ، أما القبائل فتخضع لعاداتها
وتقاليدها ، وكان مركز تركستان هو مدينة (طاشقند) وفي المنطقة
محميتان هما : امارة (بخارى) وخانية (خيوه) أو (خوارزم) • وظل
الاستعمار الروسي عسكريا في جوهره لم يهتم الا ببناء الحصون والمنشآت
المسكية بينما أهمل السكان اهمالا لا يعدهل اهمال آخر وسعى الى
ترك السكان في حالة من الجهل والفقر والبؤس وأقام الى جانب

مناطقهم الخربة وقراهم المهملة مناطق سكنية راقية ومستعمرات حديثة لافراد جنسه الذين جلبهم من روسيا للادارة والعمل في الصناعة التي حرما سكان المنطقة ، ولمراقبة المواطنين ، كما أعقد على هؤلاء المستعمرين الاموال الوفيرة ، وخصهم بأخصب الاراضي التي اغتصبها من السكان وفوق كل هذا حاربهم في عقائدهم اذ كان القانون القيصري يعدّ اعتناق أي دين يخالف الكنيسة الارثوذكسية أمراً محرماً وأجبر الناس على تعلم اللغة الروسية حيث فرضت عليهم بالقوة وأصبحت الأسماء روسية .

قامت الحرب العالمية الاولى وقبل انتهائها قامت الثورة الشيوعية في روسيا ، وحاربت الحكم القيصري ، ولكن الناقمين على الحكم الروسي استغلوا الظروف الراهنة وقاموا يريدون الاستقلال فقد كفاهم مالاقوا من العذاب ، ولكن الشيوعيين أعلنوا عن الحرية الدينية وهذا ما أعاد السكان الذين يعيشون في مائة قرية بجانب قازان الى الاسلام وكانت قد حملتهم الحكومة القيصرية على النصرانية قسراً منذ مائتي سنة وحوّلت مساجدهم الى كنائس ، وأرسلت اليهم القساوسة ، وكانوا لا يزالون في الباطن مسلمين ، ولم يقدرُوا أن يظهروا الاسلام إلا بعد سقوط الحكم القيصري ، فعادوا الى الإسلام ، وأعادوا مساجدهم الى أصلها ، ولكن عندما استتب الامر للشيوعية وسيطر الجيش الاحمر عادت الى سياسة القياصرة بل فاقتهم في أعمال السلب والنهب ومصادرة المحاصيل الزراعية والماشية والثروات تطبيقاً للنظام الجديد ، وحدث ما حدث من جرائم ومذابح جماعية وعمليات طرد وتهجير واغتصاب الارض تحت اسم المصلحة العامة وضرورة تطبيق النظام ، ثم قضت على خان (خيوه) وأمير (بخارى) .

أبدى الروس بعض التسامح اثناء الحرب العالمية الثانية لكن ما ان

اتهمت ايام الحرب حتى بدأ الانتقام من المسلمين ، وبدأت المجازر ، وأيدت بعض القرى في القفقاس ، وقلبت الحقائق ، وظهرت الدعايات المعادية للدين وللتاريخ ولرجال البلاد المخلصين .

تضم الامبراطورية الروسية اليوم ١٤ جمهورية اشتراكية سوفيتية وتشكل فيما بينها اتحاداً ، وتتبعها جمهوريات أصغر منها وأقل منها استقلالاً وهي جمهوريات اشتراكية سوفيتية ذات حكم ذاتي كما أن هناك مقاطعات ذات حكم ذاتي أصغر من الاقسام السابقة ، هذا التقسيم الغريب يخدم مصلحة الروس ، ويوزع أبناء المنطقة ، ويقسم الشعب الواحد ، ويشتت أفراد القبيلة الواحدة .

وتضم تركستان الغربية خمس جمهوريات كلها جمهوريات اتحادية (اشتراكية سوفيتية) هي :

١ - قازاقستان :

باسم قبائل القازاق وهي أكبر جمهورية في الامبراطورية الروسية بعد جمهورية موسكو ، تبلغ مساحتها ١٠٩٢٠٦٤٠ ميل مربع ، ويبلغ عدد سكانها ١٢ مليون نسمة ، وتعدّ منطقة غنية في ثروتها الزراعية والحيوانية والمعدنية فتزرع فيها الفاكهة وخاصة التفاح والحبوب والقطن وفيها ١٥ في المائة من الثروة الحيوانية في الامبراطورية و ٢٠ في المائة من اغنامها ، وتنفوق ثروتها المعدنية كل ثروة ففيها :

- ٥٧ر٤ في المائة من النحاس في امبراطورية روسيا
- ٥٦ر٣ في المائة من الرصاص في امبراطورية روسيا
- ٤٩ر٨ في المائة من التوتياء في امبراطورية روسيا

كما تعدّ المنطقة الاولى في العالم باتاج الكروم اضافة الى ثروات كبيرة من الفحم الحجري والنفط والفضة .

قامت في المنطقة ثورة قادها الحزب القومي القازاقي ، وعرفت الحركة باسم (الأش اورد ا) ، وكادت تنجح ، وأظهر الروس تأييدهم للحركة في بداية الأمر ، ثم أعلنوا الحرب عليها ، واتفقوا بعد انتصارهم من السكان ، ويقوم الروس بكل جهودهم لترويس المنطقة ، وقد فصلت منطقة (اورنبرغ) عنها لفصل مسلمي الاورال عن مسلمي تركستان .
عاصمة البلاد هي مدينة (ألما اضا) ومعناها مدينة التفاح وتقع في الجنوب الشرقي من الجمهورية .

٢ - اوزبكستان :

باسم قبائل الاوزبك وهم أكبر مجموعة في الامبراطورية الروسية بعد (الصقالبة) تضم هذه الجمهورية جمهورية (كارا كالكيا) وجزءاً من إمارة (بخارى) وقسماً من خانية (خوارزم) تبلغ مساحتها ١٥٧ر٠٠٠ ميلاً مربعاً ، ويبلغ عدد سكانها ثمانية ملايين .
تشتهر بالزراعة وتربية الماشية ومن أشهر مزارعاتها الفاكهة والحبوب والقطن وقد وصل إلى المنطقة أثناء الحرب العالمية الثانية أكثر من مليوني روسي ، وقد أصبح الروس يشكلون ١٧ في المائة من السكان بينما الاوزبك يؤلفون ٥٩ في المائة .

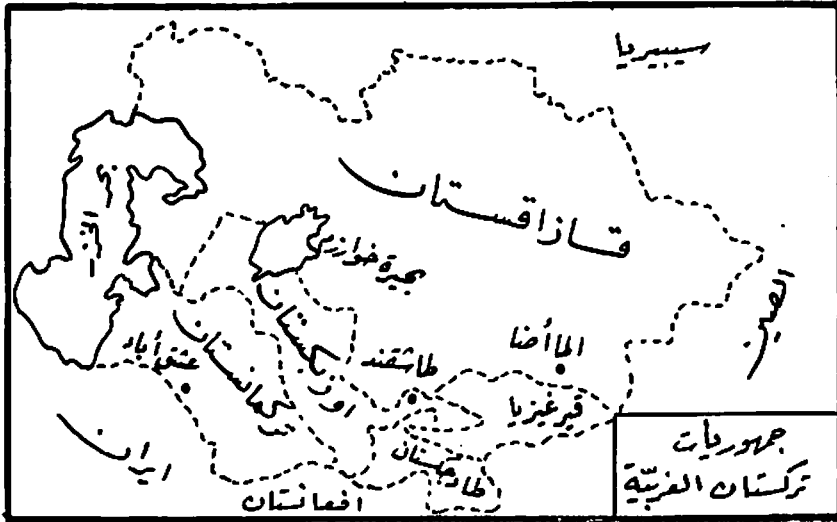
قام الاوزبك بحركة الجهاد عام ١٣٣٢ هـ - ١٩٠٤ م ضد الروس ، وحاولوا استعادة مجدهم أثناء سقوط الحكم القيصري وقيام الثورة الشيوعية ، وأسسوا حكومة تركستان المستقلة في مدينة (خوقند) ، ولم يلبث الشيوعيون أن داهموها وقضوا عليها ، وبعدها قامت حركة (البصمه جي) ، وقد لقيت المصير الذي لقيته الثورات السابقة لها .
وتقع أشهر المدن التركستانية في هذه الجمهورية (طاشقند) عاصمة الجمهورية يضاف إليها مدن (بخارى) و (سمرقند) و (خوقند) .

٣ - تركمانستان :

نسبة إلى قبائل التركمان ، وتبلغ مساحتها ١٧١ر٢٥٠ ميلا مربعا ولا يزيد سكانها على مليون وربع نسمة . وهي منطقة صحراوية قامت فيها مشروعات إروائية ضخمة ، انتقل إليها عدد كبير من الروس حتى زادوا على ثلث السكان .
أشهر المدن فيها (عشق آباد) العاصمة ، و (مرو) المدينة التاريخية المعروفة في التاريخ العربي .

٤ - قيرغيزيا :

نسبة إلى قبائل القيرغيز ، ويبلغ عدد سكان هذه الجمهورية ما يقارب ثلاثة ملايين نسمة ، وتقدر مساحتها بـ ٧٥ر٩٥٠ ميلا مربعا . ومعظم المنطقة جبلي . وقد نقص عدد السكان بسبب الهرب من البلاد ، وحرب



الابادة ، والموت جوعا ، والاضطهاد ، وقامت ثورة في البلاد عام ١٣٣٥ هـ - ١٩١٦ م قتل على أثرها ١٥٠ ألفا من القيرغيز ، وقد أيد جميع سكان القسم الشمالي ، ويشجع الروس العداء بين القيرغيز وسكان الصين .

تجود في البلاد زراعة الشوندر السكري والقطن والحبوب اضافة إلى الفاكهة التي تكثر في الأودية وخاصة وادي فرغانة المشهور ، وكذلك تشتهر بتربية الماشية واكتشفت مكامن الذهب والقصدير والزئبق والالتيموان ثم هناك الرصاص والتوتياء والفحم والنفط . وأشهر مدن القيرغيز (فرونزى) وهي العاصمة .

٥ - طادجستان :

أصغر جمهورية في آسيا الوسطى ، وتبلغ مساحتها ٥٥٥ر٥٥٠ ميلا مربعا ويزيد عدد سكانها على ١٥ مليوناً . والسكان من أصل إيراني ينما بقية سكان تركستان من أصل تركي .

الفضل الثاني

المسلمون في روسيا

ملحمة عن البلاد الروسية :

في القرون الأولى للميلاد وجد السلاف على شكل قبائل تنتقل في المنطقة الواقعة بين نهري (الفيستولا) و (الدنيبير) شمال شرقي جبال (الكربات) ثم جاءها الغزاة، فتوزعت هذه القبائل على شكل مجموعات ، اتجهت إحداها نحو الغرب ، ودخلت الأراضي الألمانية ، حتى وصلت إلى نهر الإلب ، ولا يزال منها إلى اليوم جماعات (الفند) التي تقيم بالقرب من مدينة برلين •

واتجهت الثانية منها نحو الجنوب الغربي حتى وصلت إلى (بوهيميا) و (سلوفاكيا) كما انتشرت في البلقان وكان منهم (الكروات) و (الصرب) و (المقدونيون) و (السلوفين) •

وانتشرت الثالثة منها نحو الشرق حتى وصلت إلى نهر (الدون) كما توسعت نحو الشمال حتى وصلت إلى مشارف (موسكو) ، هذه المجموعة الثالثة هي التي شكلت الروس وهم ثلاثة أقسام : الروس الكبار وينتشرون حول (موسكو) وهي مركزهم و (الاوكران) وينتشرون في الجنوب الغربي حول مدينة (كييف) التي هي عاصمتهم والروس البيض وهم في الغرب وحاضرهم مدينة (منسك) هذه المناطق هي البلاد الروسية فقط حيث عمرها السلاف ، واستقروا فيها ، ولا تزيد

مساحتها على مليون ونصف المليون من الكيلو مترات المربعة ، أما المناطق الشرقية والشمالية والجنوبية مما يسمى روسيا اليوم فقد كانت قبائل قليلة العدد تنتقل في أرجائها وتدين بالوثنية ، ثم جاء التتار ، واستولوا عليها ، كما خضع الروس لهم ، وكان السلاف يومذاك كثيري النسل ، فزاد عددهم ، وضاعت بهم الأرض ، فعندما ضعف أمر التتار قام الروس يتوسعون ، واحتلوا أرض التتار ، وأطلق على جميع الأراضي التي في شرقي بلادهم حتى جبال أورال اسم روسيا ، وهو ما تحدث عنه في هذا البحث رغم تأكيدنا أن أرض روسيا هي تلك التي ذكرناها سابقاً .

انتشار الاسلام :

إن أول جماعة اعتنقت الاسلام في الارض التي تسمى اليوم روسيا هم (البلغار) أولئك الذين عاشوا في نهاية القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع على ضفاف نهر الفولغا ، وقد وصل اليهم الدين عن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يتاجرون بالفراء وكافة السلع التي يحصلون عليها من البلاد الشمالية ، وقد أرسل اليهم الخليفة العباسي المقتدر قائده أحمد بن عباس الذي استطاع أن ينتصر على الدولة الطولونية ، وأن يعيد مصر إلى حظيرة الدولة العباسية ، ويعرف بابن فضلان ، وبعد من أوائل الرحالة الجغرافيين المسلمين ، وقد وصف تلك الرحلة بعد عودته وصفاً دقيقاً تمدّ من المصادر الأولى في تاريخ وجغرافية روسيا ، وكانت الغاية من تلك الرحلة تثبيت (البلغار) على الدين ، وتطعيمهم مبادئ الاسلام وشعائره .

هؤلاء البلغار وإن كانوا قد اعتنقوا الاسلام إلا أنهم لم يقيموا مجتمعهم على أساسه فبقوا متأخرين ، ولم يستطيعوا جذب القبائل الوثنية التي كانت تعيش في روسيا إلى دينهم إذ كانت الوثنية لا تزال

هي السائدة في تلك الأرض ، فلو طبقوا الاسلام على مجتمعهم لارتفع مستواهم وتغيرت أوضاع بلادهم ولجاءتهم القبائل تسمى إلى إعتناق دينهم ، وقد قام البلغار بجهود في سبيل ذلك ، فقد حاولوا تحويل (فلاديمير) ملك روسيا آنذاك إلى الدين الحنيف ، ويقال إن الذي منع الروس من الاسلام أمران هما تحريم الخمر والختان .

كانت الوثنية في روسيا آنذاك مجالا للصراع في كسبها إلى الديانات ، وكما فشل البلغار في كسب الروس إلى الاسلام فشل اليهود ايضا في ادخالهم في دينهم ، كما أن النصرانية قد أدلت بدلوها مع (فلاديمير) ، وأمام هذا الصراع جمع (فلاديمير) وجهاء قومه . واستصحبهم في هذه التيارات الدينية ، فأجابوه (أيها الأمير إن كل امرئ يمتدح ديانته فاذا أردت أن تختار أحسنها فابحث برجال عقلاء إلى البلاد المختلفة ليكشفوا لك أيه أمة من الأمم تعظم الله بالطريقة المثلى التي تليق بمقامه الاسمي) وأمام هذا الجواب اختار لهذا الغرض عشرة رجال اشتهروا بالرأي والحكمة فوجدوا أن بلاد (البلغار) لا تزان فيها أماكن حقيرة المظهر إذ لا يزال الاسلام حديثاً فيهم ، ولم يطبق كاملاً فالاسلام ليس مجرد عبادة وشعائر تؤدي وإنما نظام يشمل جوانب الحياة كلها ، يبدأ بالنظافة ويصل إلى الحكم ، ولكن رجال (فلاديمير) سرّوا بالقسطنطينية ، وما بها من فخامة البناء وعظمة الاشادة في كنيسة (ايا صوفيا) وملابس رجال الدين الجميلة وروائع البخور المنبعثة في داخلها — وهم لم يعرفوا هذا ولم يرتقوا بعد في سلم الحضارة فنقلوا ذلك إلى (فلاديمير) ، فتحوّل إلى النصرانية وجهر بها عام ٣٧٨ هـ — ٩٨٨ م ديانة له وتبعه قومه ، وهكذا أصبحت النصرانية عقيدة الروس ، وبدأت تترسخ في النفوس ، بينما بقيت القبائل غير الصقلية وثنية تنتقل في شرقي روسيا ، وتخضع للقبائل التي أصبحت نصرانية .

ثم قام التتار وهم مجموعة من القبائل موطنها الأصلي صحراء (غويي) في (منغولية) ، هذه القبائل التي عرفت منذ القرن الرابع الهجري باسم المغول حيث انضوت تحت لواء زعيم إحدى قبائلهم وكان يحمل ذلك الاسم ، ثم أخذ لنفسه السيادة على بقية العشائر المتحالفة ومن ثم أطلق اسم بعضهم على الكل .

بعد أن تجمعت هذه القبائل تحت عامة (جنكيز خان) ، انتقل بها يدك ما عثر من الأرض فاجتاح الصين ، ثم اتجه غرباً فدخل أرض المسلمين وغزا (خوارزم) ، وقتل من جيشها ١٦٠ ألف جندي ، ثم دخل (بخارى) وأحرقها ، وسلب ونهب وسبى ماشاء له طفياناً ، ثم استمر في تقدمه نحو الغرب ، فقاومه (نيسابور) فكان جزاء أهلها الذبح والقتل ، وبقي في تقدمه حتى وصل إلى غايته المحتومة فخلفه ابنه (اوجتاي) فسار على خطة أبيه فغزا ما بقي من الصين ثم اتجه غرباً فاكسح روسيا وجعلها ولاية منغولية عام ٦٣٣ هـ - ١٢٣٥ م ، وكذا استولى على (المجر) و (بولندا) ، ولكن المغول انسحبوا من بعض مناطق أوروبا عندما حدث بينهم نزاع على العرش بعد (كيوك بن اوجتاي) .

استولى (مانجو) أخيراً على ناصية الأمر عام ٦٤٦ هـ ١٢٤٨ م فعين أخاه وولي عهده (قبلاي) على الصين وسير أخاه الثاني (هولاكو) للاستمرار في الهجوم على غربي آسيا فدخل بغداد ودمرها ، وسقطت بيده دمشق فأذاق أهلها الويلات ، ثم توقف المد المغولي بعد هزيمتهم في (عين جالوت) عام ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م على يد المماليك .

وعندما هدأت ثورة المغول في التخريب والتدمير أعطوا الشعوب التي أخضعوها بالسيف وأذلوها حتى خضعت أعطوها الحرية الدينية ، وفي عهد (قبلاي) خليفة (مانجو) والذي تسلم أمر المغول ٦٥٥ هـ - ١٢٥٧ م بدأ التتار يخضعون للمؤثرات البوذية في الصين ، ولكن

المسلمين هم الذين دارت عليهم الدائرة الكبيرة ، وظن بعضهم أن الاسلام قد انتهى حتى أن ابن الاثير الذي عاصر هذه الاحداث قد توقف عن ذكرها في بداية الأمر فيقول (ومن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الاسلام والمسلمين ؟ ومن الذي يسهل عليه ذكر ذلك ؟ فيا ليت أُمي لم تلدني وياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) إلى أن حثني جماعة من الاصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً ، فنقول هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقت الأيام والليالي عن مثلها ، وعمت الخلائق وخست المسلمين فلو قال قائل منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً فإن التواريخ لم تتضمن ما يقابلها ولا ما يدانيها ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله (بختنصر) ببني اسرائيل من القتل والتخريب لبيت المقدس ؟ وما البيت المقدس بالنسبة إلى تخريب هؤلاء الملاعين في البلاد التي في كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس وما بنو اسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا ؟ فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بني اسرائيل ، ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة (١) .

والواقع فإن ما أصاب المسلمين لم يكن بسبب وحشية التار فقط فما أصابهم أصاب غيرهم ، وإنما بسبب ما شحنوا من عدااء من النصارى الذين كانوا يرغبون في جرّهم إلى دياتهم، كما أنهم حرّضوهم على قتل المسلمين انتقاماً من الحروب الطليبية التي لم يمض كبير وقت على انتهائها ، وقد خرج النصارى منها مدحورين ، فالحقد باق والنفوس لئيمة ، كما خاف النصارى من إسلام المغول إذا ما اتصلوا بالمسلمين ، فإذا حدث القتال بين المسلمين والمغول فإن هذا سيقي هوة سحيقة بين

الطرفين ، فالقتل يزيل الرجال ويبقى العداء ، فقد اتصل النصارى بالمغول بل عاشوا معهم في بيوتهم ف (جنكيز خان) تزوج من فتاة من إحدى الاسر النصرانية التتارية ، وكذا تزوج ابنه وخليفته (اوجتاي) من فتاة نصرانية أيضاً ، وكان (كيوك بن اوجتاي) والذي تولى أمر المغول هو الذي دفع (مانجو) وحرّضه على إرسال أخيه (هولاكو) لينزو غربي آسيا ، وتزوج (هولاكو) من فتاة نصرانية حاكمة كانت السبب في التخریب الذي عم العراق والشام ، واعتنق كثير من المغول في أرمينيا وبلاد الكرج النصرانية ، وتزوج (اباقا خان) ابن (هولاكو) وولي عهده على الاسرة الديلخانية ابنة امبراطور القسطنطينية ، ونشأ (تكودار) ابن (هولاكو) الثاني على النصرانية قبل أن يعتنق الاسلام ، واضطهد (ارغون) بن (اباقا خان) المسلمين شر اضطهاد وحرّمهم من المناصب التي كانوا يشغلونها وقتل عمه (تكودار) الذي أسلم وتسمى باسم أحمد ، وتسلم مكانه وكان (جغتاي) بن (جنكيز خان) من أعداء الاسلام فلم يكن يستطيع أن يسمع في مجلسه اسم مسلم إلا في موضع ذم .

ولكن قدرة الله فوق كل شيء وتديره فوق كل تدبير ، فمن الذي كان يدري هؤلاء الذين عادوا الاسلام سينقلبون إلى دعاة له ولما يعض على ظلمهم بضع عشرة سنة ؟ ومن الذي كان يعلم أن هؤلاء الذين خربوا ديار الاسلام سينتشر الاسلام على أيديهم وعلى أيدي خلفائهم حتى في هذا الزمن الذي يعد عصر انحسار بالنسبة إلى الاسلام حيث تتكالب الدنيا عليه ويجتمع العالم على حربه إن الله هو الذي أنزل الذكر وهو الذي تكفل بحفظه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (والله منهم نوره ولو كره الكافرون) .

منذ أن شعر (جنكيز خان) بقرب أجله قسم امبراطوريته الواسعة

بين أبنائه الأربعة فولى ابنه الكبير (جوجي) القسم الغربي من الامبراطورية وتشمل (روسيا) و (بولندة) وكل ماأخذ حتى نهاية المعمورة . وأعطى ابنه الثاني (جغتاي) القسم الأوسط ويشمل (تركستان) وما حولها من آسيا الوسطى وأعطى ابنه الثالث (اوجتاي) الصين كما كان ولي عهده أي خانا أكبر للمغول كافة ، وأعطى ابنه الرابع (تولوي) فارس وما يتبعها من المناطق ، وعلى الرغم من بقاء هؤلاء الاخوة مرتبطين بخان المغول الكبير إلا أن كل واحد منهم قد أسس أسرة خاصة بقيت تحكم المنطقة التي تسلمها .

أسس (اباتو بن جوجي) الأسرة الذهبية ولم يلبث خانها (بركة خان) الذي سلم أمرها عام ٦٥٤ - ٦٥٥ هـ - ١٢٥٦ - ١٢٦٧ م أن اعتنق الاسلام منذ صغره ، وحفظ القرآن على يد أحد علماء مدينة (خوقند) ، وكان كل جنده من المسلمين ، كان هذا الأمر ولما تسقط بغداد بيد (هولاكو) ، وفوق كل هذا تحالف هذا الخان مع (الظاهر بيبرس) سلطان المماليك في حربه مع طاغية المغول (هولاكو) ، وكانت حاضرة الأسرة الذهبية مدينة (السرا) على ضفاف نهر (القولغا)^(١) وكان شديد الحماسة لنشر الاسلام بين الروس ، لكنه كان متسامحاً جداً مع النصارى ، وكان من هذه الأسرة السلطان (محمد اوزبك) الذي آل اليه أمرها عام ٧١٣ - ٧٤١ هـ ١٣١٣ - ١٣٤٠ م وفي أيامه كانت عدة دول اسلامية في أرض روسيا اليوم تركية اللغة حنفية المذهب ومن أشهرها (القرم) و (بلغار) وغيرها وكلها تتبع السلطان (محمد اوزبك) في (السرا) ، وفي أيامه زار المنطقة الرحالة الاسلامي ابن بطوطة ، وذكر السلطان محمد اوزبك فقال عنه (واسمه

١ - السرا : تقع على الضفة الاخرى لنهر القولغا شرق مدينة سنالينغراد التي تقع على ضفة النهر اليمنى .

محمد أوزبك ، ومعنى خان عندهم السلطان ، وهذا السلطان عظيم
 المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع المكان ، قاهر لاعداء الله أهل
 قسطنطينية العظمى ، مجتهد في جهادهم وبلادهم متسعة ومدنه عظيمة منها
 الكفا^(١) والقرم^(٢) والماجر^(٣) وأراق^(٤) وسرادق (سوداق)^(٥)
 وخوارزم^(٦) وحاضرتهم (السرا) وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء
 الدنيا وعظماؤها ، وهم : مولانا أمير المؤمنين ظل الله في أرضه ، امام
 الطائفة المنصورة الذين لا يزالون ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة أيد
 الله أمره ، وأعز نصره وسلطان مصر والشام وسلطان العراق والسلطان
 أوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر وسلطان الهند وسلطان
 الصين .

كما وصف ابن بطوطة المدن الكبيرة التي تقع في حوزة هذا
 السلطان فقال عن مدينة (الكفا) وهي مدينة عظيمة مستطيلة على ضفة
 البحر يسكنها النصارى وأكثرهم الجنويون ، ولهم أمير يعرف بالمدير ،
 ونزلنا منها بمسجد المسلمين ويقول (وطفنا بالمدينة فرأيناها حسنة

١ - الكفا : مدينة في شبه جزيرة القرم ، على البحر الاسود في اضييق
 برزخ بينه وبين بحر آزوف وعند اتصال القرم بشبه جزيرة (كرش) ، ولم
 يعد لها اليوم ذكر .

٢ - القرم : في شبه جزيرة القرم وحاضرتها وتقع غرب مدينة
 (الكفا) .

٣ - الماجر : وهي مدينة شرق (ازاق) تقع على نهر (الدون) ولم
 يبق لها اسم اليوم .

٤ - ازاق : وهي في نهاية بحر آزوف وتسمى اليوم آزوف كما كان
 هذا البحر يحمل اسمها فيسمى بحر ازاق .

٥ - سرادق : مدينة في شبه جزيرة القرم ، تقع جنوب مدينة القرم .

٦ - خوارزم : منطقة في بلاد جمهورية اوزبكستان اليوم ، قريبة من
 بحيرة خوارزم التي تعرف الآن باسم بحر آرال .

الاسواق وكلهم كفار ونزلنا إلى مرساها فرأينا مرسى عجيباً به نحو مائتي
مركب حربي وسفري صغير وكبير وهو من مراسي الدنيا المشهورة •

ويصف مدينة القرم فيقول (ثم اكرتنا عجلة وسافرنا إلى مدينة
القرم ، وهي مدينة كبيرة حسنة من بلاد السلطان المعظم محمد أوزبك
خان وعليها أمير من قبله اسمه تلتكثمور) •

وكتب عن مدينة الماجر يقول (وهي مدينة كبيرة من أحسن مدن
الترك على نهر كبير وبها البساتين والفواكه الكثيرة) •

ويقول عن أزاك (وهي على ساحل البحر حسنة العمارة يقصدها
الجنويون وغيرهم بالتجارات أما مدينة خوارزم فيقول عنها (وهي أكبر
مدن الأتراك وأعظمها وأجملها وأضخمها لها الاسواق المليحة والشوارع
الفسحة والعمارة الكثيرة والمعاسن الأثيرة وهي ترتج بسكانها لكثرتهم
وتموج بهم موج البحر) •

ويصف حاضرة السلطان مدينة (السرا) فيقول (وهي حاضرة
السلطان أوزبك) ودخلنا على السلطان فسالنا عن كيفية سفرنا وعن ملك
الروم ومدنيته فأعلمناه • وأمر بأجراء النفقة علينا وانزلنا •

ومدينة (السرا) من أحسن المدن متناهية الكبر في بسيط من
الأرض تفصّ بأهلها كثرة ، حسنة الاسواق متسعة الشوارع ، وركبنا
يوماً مع بعض كبرائها ، وغرضنا التطواف حولها ، ومعرفة مقدارها وكان
منزلنا بطرف منها ، فركبنا منه غدوة فما وصلنا لآخرها إلا بعد الزوال
فصلينا الظهر وأكلنا طعاماً فما وصلنا إلى المنزل إلا عند المغرب ، ومشينا
يوماً في عرضها ذاهبين وراجعين في نصف يوم ، وذلك في عمارة متصلة
الدور لا خراب فيها ولا بساتين فيها ثلاثة عشر مسجداً لاقامة الجمعة ،
أحدها للشافعية ، وأما المساجد سوى ذلك فكثير جداً وفيها طوائف من

الناس، وكل طائفة تسكن محلة على حدة، فيها أسواقها والتجار والغرباء من أهل العراقين ومصر والشام وغيرها ، ساكنون بمحلة عليها سور ، احتياطاً على أموال التجار .

كذلك يذكر مدينة الحاج ترخان^(١) فيقول (فوصلنا إلى مدينة الحاج ترخان ومعنى ترخان عندهم الموضع المحرر من المغارم ، والمنسوب إليه هذه المدينة هو حاج من الصالحين ، تركي نزل بموضعها وحرر له السلطان ذلك الموضع فصار قرية ، ثم عظمت وتمدنت وهي من أحسن المدن عظيمة الاسواق مبنية على نهر إتل^(٢) ، وهو من أنهار الدنيا الكبار وهناك يقيم السلطان حيث يشتد البرد ، ويجمد هذا النهر ، وتجمد المياه المتصلة به .)

كما أنه يذكر مدينة بلغار^(٣) ، فيقول (وكنت سمعت بمدينة بلغار فأردت التوجه إليها لأرى ما ذكر عنها من انتهاء قصر الليل بها ، وقصر النهار أيضاً في عكس ذلك الفصل وكان بينها وبين محلة السلطان مسيرة عشر ، فطلبت منه يوصلني إليها ، فبعث معي من أوصلني إليها وردني إليه وصلتني في رمضان فلما صلينا المغرب أقمنا وأذن بالعشاء في أثناء افطارنا فصلينا وصلينا التراويح والشفع والوتر ، وطلع الفجر إثر ذلك . وكذلك يقصر النهار في فصل قصره أيضاً وأقامت بها ثلاثاً) .

ومن هذا نستدل أن التتار قد انتشروا في شرقي روسيا على ضفاف

١ - الحاج ترخان : يطلق عليها اليوم استراخان على سياسة تغيير الاسماء والاماكن والتاريخ وحتى الحقائق .

٢ - نهر إتل : هو نهر الغولفا .

٣ - بلغار : مدينة موقعها جنوب مدينة قازان اليوم على نهر الغولفا وقد تكون قازان امتدادا لها من ناحية الشمال ، وتقع على خط العرض ٥٥ شمالا .

نهر (الفولغا) وعلى مقربة من مدينة موسكو ، كما انتشروا في جنوبها وخاصة في شبه جزيرة (القرم) ، وقد أسسوا عدة دول فيها ، وفي هذه الامارات يكثر المسلمون ، كما يوجد بينها نصارى يعيشون بحرية وطمأنينة ، وكان الروس في هذا المجتمع يدينون بدينهم ، ويقيمون في مدنها لا يعكر صفوهم معكر ، أما إماراتهم فكانت تدفع الجزية للمغول ، وأهمها (موسكو) و (كييف) ، ويصف ابن بطوطة الروس فيقول عنهم (إنهم شقر الشعور زرق العيون قباح الصور أهل غدر) •

وأسس (هولاكو) الدولة (اليلخانية) في فارس وضم اليها العراقيين وشرقي بلاد الشام وآسيا الصغرى ، وتولى بعده ابنه (أباقا خان) ، وكان مثله عدواً لدوداً للدولة الاسلام ثم جاء ابن هولاكو الثاني (تكودار) الذي نشأ على النصرانية ، وشب عليها ، ثم اعتنق الاسلام ، وراسل السلطان المملوكي (قلاوون) سلطان مصر ، وتوقفت الحرب بين الطرفين وعلى الرغم من أنه قتل من قبل ابن أخيه (أرغون بن أباقا خان) إلا أن ابن (أرغون) هذا وهو (غازان) قد اعتنق الاسلام بعد أن كان بوذياً وكذا أخوه (اولجاتيو) الذي شب على النصرانية ، ثم اعتنق الاسلام وتسمى باسم (محمد) وأصبح بعدئذ الاسلام هو الدين السائد في دولة اليلخانات الفرس •

أما الاسرة (الجغتائية) فقد تأخر انتشار الاسلام فيها حتى عام ٧٤٠ هـ - ١٣٣٩ م أيام السلطان (علاء الدين طرشيرين) •

وهكذا دان التار بالإسلام في المناطق الاسلامية ، بينما خضعوا للبوذية في الصين والشرق • ثم جاء (تيمور لنك) وحكم التار ، وحل محل المغول ، وبسط نفوذه على كل مناطق التار ، ولم يتغير شيء في البلاد من دمار وخوف ، ولكن الذي تغير هو الحاكم فقط وكانت في روسيا ثلاث دياتات :

١ - الاسلام ويدين به التتار ، وهم الذين يحكمون البلاد ويحاولون شره بين السكان •

٢ - النصرانية ، ويعتقها الصقالبة الروس ولهم امارتان في (موسكو) و (كييف) ويدفعون الجزية للتتار •

٣ - الوثنية : ولا تزال بعض القبائل من الروس والتتار تخضع لها اضافة إلى بعض قبائل الشمال •

وهكذا كانت الديانات تأخذ المعنى القومي ، وتظهر بالمظهر القبائلي ، فالروس نصارى ، والتتار مسلمون ، وكان العداء قائماً بين الحاكم والمحكوم بسبب الخلاف العقائدي إضافة إلى الخلاف القومي واللغوي ، وإن لم يكن لهذين الأمرين الأخيرين كبير أهمية أو عظيم أثر ، وإنما الذي له كل القيمة والأثر الخلاف العقائدي •

وما إن انتهى أمر تيمور لك عام ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م حتى اختلف الامراء من بعده على العرش ، فتجزأت الدولة الواسعة واستحالت قوتها إلى ضعف ، وبدأت الولايات تنفصل عنها ، والمناطق الخاضعة لها تتمرد عليها بالانفصال تارة وبالاستقلال أخرى ، ومنها روسيا التي وقفت على أقدامها ، ورفضت دفع الجزية ، وبدأت تقاتل التتار عام ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م بقيادة امير (موسكو) الذي بدأ يسمى لتأسيس دولة قوية له ومنذ ذلك الزمن بدأت هذه الدولة الجديدة تظهر للعالم ، وتتضخم تدريجياً •

استطاعت الامبراطورية البيزنطية التي كان مركزها القسطنطينية ، والتي لم تكن قد فتحت بعد للعثمانيين ، وان كانت محاطة من كل الجهات بهم ، ومهددة بالسقوط في كل لحظة ، استطاعت هذه الدولة العجوز ان تثير الصقالبة الروس ، وأن تنمي فيهم الروح الصليبية الحاقدة ، وتدعوهم

للاتقام من التتار المسلمين اخوان العثمانيين الذين يهددون عاصمة
الدولة البيزنطية ومركز الارثوذكس القسطنطينية .

ولم يمض زمن طويل حتى فتحت القسطنطينية ابوابها للعثمانيين ،
وقام الصقالبه في ناحية ثانية برد فعل ضد المسلمين التتار، وقامت الحروب
الصليبية ، وتجلت بشكل واضح في عهد (ايفان الثالث) الذي استمر
حكمه ٨٦٧ - ٩١١ هـ - ١٤٦٢ - ١٥٠٥ م والذي تمزّد على التتار ،
ثم في عهد (ايفان الرابع) الذي سمي بالرهيب بسبب ما ألحق بالمسلمين
من قتل وذبح وأذى ، حيث غزا المناطق الاسلامية ، وضمّها إلى دولته
الناشئة فقد دخل (قازان) عام ٩٦٠ هـ ١٥٥٢ م ، وضم إمارتها إلى
دولته ، وفي العام نفسه ألحق أرض (الشوفاش) بموسكو ، وكذا بلاد
(ماري) و (موردوف) ثم دخل مدينة (اوبا) عاصمة (الباشكير) عام
٩٦٣ هـ ١٥٥٥ م . ومدينة (الحاج ترخان) وأخيراً ضم بلادهم إليه بعد
عامين ، ثم استولى على بلاد (الادمورت) عام ٩٦٨ هـ ١٥٦٠ م وهكذا
ضم الارض الاسلامية التي تقع بين موسكو وبين جبال (الاورال) من
جهة الشرق وبحر الخزر من جهة الجنوب وتقرب مساحتها مساحة بلاد
العراق أي ٤٤٥ الف كم^٢ ، ولم يبق أمامهم سوى بعض الاجزاء الجنوبية
وشبه جزيرة القرم التي استطاعت روسيا احتلالها عام ١١٩١ هـ -
١٢٧٧ م .

ان المسلمين العثمانيين عندما اتصروا على الدولة النصرانية البيزنطية
قام الصقالبه النصارى ينتقمون من التتار المسلمين بل عدّت دولة روسيا
الجديدة نفسها وريثة لتلك الدولة التي زالت كما نصبت نفسها حامية
للارثوذكس النصارى ، وقامت الحرب الصليبية واضحة ، وبدأت هذه
الدولة الجديدة تحارب الإسلام وعدّت المسلمين جميعهم في أية بقعة من
الأرض مسؤولين عن تفويض الدولة البيزنطية، وفتح عاصمتها القسطنطينية،

وكان الروس يطردون المسلمين من مناطقهم لاحتلال الروس محلهم ، ولكن هؤلاء المسلمين النازحين كانوا ينشرون الإسلام على طول الطريق التي يسلكونها باتصالهم بالسكان الذين يلتقون بهم على هذه الطريق ، وهذا ما زاد حقد الروس ، فهم يريدون ادخالهم في النصرانية على المذهب الارثوذكسي فاذا بهم يعتنقون الإسلام ، الأمر الذي جعلهم يغيرون سلوكهم ، ويفضلون إبقاء التتار في أماكنهم، ويعزلونهم عن بقية السكان ، ولكن كان لهذه الطريقة أثر أيضا على انتشار الإسلام (يريدون ليطفنوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) .

يعتقد الروس أن لاسبيل إلى ترك السكان المسلمين في روسيا إلا إذا تركوا دينهم وتخلّوا عن الإسلام ، واستمرت الحرب الصليبية في هذا المكان من الأرض وكان هدف الروس :

١ - الاستيلاء على أرض التتار (١) .

٢ - تحويل السكان الى سلاف .

٣ - محاربة الإسلام .

٤ - الاستيلاء على القسطنطينية والسيطرة على المضائق (البوسفور والدردينيل) .

وكان يدفعها إلى ذلك ظاهراً أنها تريد الاستيلاء على أرض التتار بحجة إيجاد مجال طبيعي لهجرة السكان الذين يزدهمون في روسيا حول موسكو بينما تقتصر البلاد التتارية إلى السكان ، وإذا كانت الدول

(١) يطلق اسم التتار في روسيا وشرقي أوروبا على جميع القبائل التركية . ويطلق اليوم اسم التتار على سكان حوض نهر الفولغا من قازان حتى استرخان وشبه جزيرة القرم وجزء من سيبيريا الغربية وبعد بعضهم قبائل الاتراك كافة تتارا .

الأوروبية قد استطاعت أن تؤسس مستعمرات لها في افريقية وما وراء البحار ، ولكنها هي لم تستطع الوصول الى مثل تلك المناطق بسبب انحصارها في مناطق منعزلة ، فلا تشرف إلا على بحار تتجمد معظم أيام العام فلا يمكن الافادة منها ، وعلى هذا فليس لها من مجال طبيعي إلا في المناطق الشرقية حيث بلاد التتار . وأما تحويل السكان الى سلاف فإنما هو للوحدة الوطنية بين سكان البلاد — على حد زعمها — ، ويعتقد الروس أن كلمة سلاف وإن كانت تدل على قوم إلا أنها تعني الديانة النصرانية أيضاً والمذهب الأرثوذكسي بشكل خاص لذا يجب تحويل جميع السكان إليها وصبغتهم الصبغة التامة بكل ما تعني كلمة سلاف وإلا فلن تتم الوحدة الوطنية ولن يكون هناك تجانس بين السكان .

وأما الاستيلاء على القسطنطينية والسيطرة على المضائق فذلك من أجل الوصول الى المياه الحرة التي تستطيع بواسطتها الاتصال بالعالم الخارجي .

أما واقع الأمر فهو الحقد الصليبي الصارخ على المسلمين والذي يريد تخليص القسطنطينية من أيدي المسلمين واعادتها عاصمة للدولة الأرثوذكسية ، وقد مر بنا كيف عدّ الروس دولتهم وريثة لتلك الدولة التي انقرضت ، وكذلك الانتقام من التتار الذين يشتركون مع العثمانيين في عقيدة واحدة هي الإسلام .

أما الدول الأوروبية الأخرى فقد وقفت موقف المتفرج ، وسرّها ما يحدث لأن ذلك في مصلحتها لسببين :

١ — ان في اتجاه روسيا نحو الشرق فائدة للدول الأوروبية حيث لم تتجه نحو استعمار مناطق النفوذ الأوروبي . ولكنهم يقفون أمام الأطماع الروسية إذا ما حاولت الاتجاه نحو (المياه الحرة) ، إذ عندها تستطيع المنافسة الاستعمارية والمزاومة الاقتصادية .

٢ - ان في حرب روسيا للمسلمين والضغط عليهم مصلحة لبقية الدول الأوروبية الأخرى التي تعادي الاسلام أيضاً وتراه أكثر خطراً عليها من أي دين أو عقيدة أو اتجاه . وبقية دول أوروبا تلتقي وروسيا في عقيدة واحدة هي النصرانية وإن اختلفت معها في المذهب . كما أن ذلك يخفف من قوة المسلمين الذين يحاربهم الأوروبيون ويريدون احتلال أراضيهم .

عاش التتار في ديارهم في شبه عزلة عن المجتمعات التي تحيط بهم بعد أن رأت روسيا أثر هؤلاء الذين أجلتهم عن ديارهم في نشر الاسلام على طول الطريق التي سلكوها ولكي تكون العزلة أكثر جدوى أصدرت القيصرية قراراً يجعل اعتناق أي دين يخالف الكنيسة الارثوذكسية أمراً محرماً إضافة الى هذا كله كان الاضطهاد غير بعيد عن المسلمين بل يحدق بهم أفراداً وجماعات فعاشوا في أوطانهم غير مواطنين ، ومن جهة ثانية فقد أفسح المجال للبعثات التبشيرية الارثوذكسية لتقوم بعملها بين القبائل الوثنية وحتى الاسلامية ، وأعطيت الصلاحيات الواسعة لها .

أمام هذا التصرف الروسي قام المسلمون بعدة ثورات متتابعة وكان أهمها ثورة (الباشكير) التي انطلقت عام ١١٨٧ هـ - ١٧٧٣ م ولكنها فشلت وقمعت كما قمع غيرها من الثورات بمنتهى القسوة والوحشية وتهجير السكان واحلال الروس محلهم وذلك المساجد وتقويض مراكز العلم الاسلامي .

وتحت الضغط الشديد وفي سبيل الوصول الى بعض الحقوق الرئيسية ومن أجل تأمين بعض المصالح اليومية أو استلام بعض الأعمال الضرورية بل حتى من أجل الحصول على لقمة العيش أحياناً وتأمين التعليم في المدارس في كثير من الاحيان كانت جماعات كثيرة توافق

البعثات التبشيرية وتقبل الانتساب الى النصرانية ظاهراً وعلى المذهب الارثوذكسي أيضاً ، وتتم عملية التعميد ، وتسجل في عداد النصارى وبهذا كان يقل عدد المسلمين في روسيا يوماً بعد يوم ، ويزداد عدد المعمدين أو بالأحرى الذين دخلوا بالنصرانية .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر للهجرة التاسع عشر للميلاد بذلت جهود جبارة لتنصير القبائل الاسلامية والوثنية على حد سواء عن طريق إنشاء مدراس بينهم من أجل جذب شباب ذلك الوقت إليهم ، وظنوا أنهم ان لم يفعلوا ذلك فلن يفوزوا بتحويل شاب واحد من التار الى النصرانية .

وبالمقابل فانه خوفاً من ترك النصرانية فان القانون الروسي الجنائي قد تضمن عقوبات صارمة للذين يحيدون عن الكنيسة الارثوذكسية ، ويعاقب كل مسلم تثبت عليه تهمة تحويل نصراني إلى الاسلام بتجريده من الحقوق المدنية كافة وبحسبة مع الأشغال الشاقة مدة تتراوح بين ثمان سنوات وعشر .

ظلت الكنيسة الارثوذكسية بعد مدة طويلة من تطبيق هذه الجزاءات أن الامر قد تمّ لها حسب ما تريد ، وانه لم يعد هناك خوف من انتشار الاسلام ، وابلغت ذلك الى القيصرية فصدر عام ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م قرار يقضي بالحرية الدينية . ويا لهول الحادث ٠٠٠ فان احدى وتسعين اسرة اعتنقت الاسلام عام ١٣٢٤ هـ ، وان ٥٣ ألفاً قد اسلموا في العام نفسه ، وان قبيلة (الفوتياك) قد انتشر الاسلام بينهم على الرغم من أن معظمهم كان قد عمد ، وان قبيلة (الشيريس) وهي مثل (الفوتياك) من قبائل (الفن) قد اسلم القسم الاعظم منها على الرغم من أن كثيرين منها كانوا نصارى اسما ، وقد دخلت قراهم جميعها بالاسلام بسبب

اتصالهم بالتار والباشكير الذين كانت عاداتهم متشابهة الى حدما ، وعلى الرغم من أن الضغط الذي كان عليهم والحرب النفسية التي يلقونها كانا قاسيين حيث كانوا يطلقون عليهم اسم (الكلاب المختونين) إلا انهم تحملوا هذا بصبر وجلد وكانوا تحت هذه الظروف القاسية التي يعيشونها يتركون مجتمعاتهم ويؤسسون قرى خاصة بهم على بعد عدة أميال ، وكانوا في سجلات الدولة وثنيين فلم يستطيعوا بناء مساجد لهم لتحريم ذلك فما إن أعلن قانون حرية الاديان حتى ارتفعت في قراهم المساجد .

وأما قبائل (الشوفاش) الذين بلغ عددهم المليون آنذاك ، وكانوا فد عمدوا جميعاً إلا أن الاسلام قد انتشر بينهم حتى عم ، وان كثيراً من القبائل الوثنية ما كان دخولها في النصرانية إلا مرحلة اولى لاعتناقها الاسلام .

(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) . ولعل الانسان يحب أن يتعرف على الأسباب التي جعلت التار والقبائل الاخرى تقف هذا الموقف .

ان القبائل التتارية كانت شبه معزولة وواقعة تحت الضغط والارهاب ، وكان الروس ينظرون إليهم نظرة خاصة ، وذلك أنهم يربطون العقيدة بالجنس ، كل ذلك قد فرض عليهم نوعاً خاصاً من التعاون والمحبة والألفة والاستعلاء ، فقد كان يساعد بعضهم بعضاً في كثير من النواحي المادية ويتعاونون على الحياة ، مما ادى الى الحب المتبادل والشعور بالثقة بينهم والألفة اضافة الى نظرة الاستعلاء على الروس النصراني حيث يشعر المسلم التتاري على الرغم من الوضع الذي هو فيه أنه أعلى ثقافة وأكثر انسانية وفهما للحياة ومعناها من الروس ما دام هو المسلم ، وان عليه تبعة هي إخراج أفراد مجتمعه مما يعانونه من البؤس والشقاء والظلم والجهل ، كما أن عليه أمانة هي اخراج الناس من الظلمات الى النور الذي يعيش فيه

المسلم، فكان يدعو إلى اعتناق دينه الذي فيه الصلاح والخير، وفيه النظافة والتنظيم، وفيه التعاون والمودة، وهو يدعو على الرغم من علمه بما يحيط به من قسوة، وما يحدق به من عنت، يدعو وهو يعرف النتيجة، ويتحمل المسؤولية، وإن كان الحذر والأناة يأخذان سبيلهما، وإضافة إلى ذلك فقد كان التتار ينظرون إلى أنهم كانوا حكام البلاد الشرعيين، وإن الروس مغتصبون، ولا يصلحون للأمر ما داموا لا يدينون بدين الحق، لهذا لم يكن تتاري واحد ليرك الإسلام وقد يكون من الذين عُمِدوا، أو من الذين سجلوا في عداد النصاري، كما أن القبائل الأخرى التي تتصل بهم - وقد يكون بعضها من الروس - ترى فيهم التعاون الذي تنشده والحب الذين تصبو إليه نفوسها، وقد تحصل على المساعدة المادية من أصحاب اليسر من التتار، فيما تجد نفسها إلا وهي مسلمة حسب الفطرة الإنسانية.

إمام هذا التحول السريع نحو الإسلام خافت الحكومة الروسية على أتباعها من الذين كانت تريد أن تدخلهم في عقيدتها لذلك أقامت الجمعيات الدينية لحماية دينها ومذهبها، واستبدلت بالأحرف اللاتينية في المناطق التتارية أحرفاً سلافية حيث فرضت اللغة الروسية رسمياً، كما أصبحت الأسماء روسية، ولكن هذا لم يفدها شيئاً إذ قام التتار في هذه المدة بنشاط كبير بالدعوة إلى دينهم سواء في منطقة (الاورال) أم في شبه جزيرة القرم.

عادت روسيا فألغت الحرية الدينية، ووقعت بشدة أمام الدعوة إلى الإسلام ونشاط التتار في ذلك، ولكن لم تلبث أن اندلعت نار الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٣ هـ.

قامت الحرب العالمية الأولى ووقعت روسيا بجانب الحلفاء ضد ألمانيا وقبل انتهاء الحرب قامت الثورة الشيوعية عام ١٩١٦ هـ واستلمت زمام الأمر، ووجد المسلمون فرصة للاستقلال، فقد كفاهم ما لاقوا من

العذاب ، وقد اعلنت الثورة الشيوعية الحرية الدينية مبدئياً لتستفيد من الوقت بل ان منشوراً وزعه لينين جاء فيه « لقد قمنا لننصف المسلمين من شعبنا والذين طال عليهم الظلم » ولنعلم مدى الاضطهاد الذي كان يلاقيه المسلمون يكفي ان نقول : إن هذه الحرية المكذوبة التي أعطيت للمسلمين مؤقتاً قد أعادت سكان مائة قرية في جوار مدينة (قازان) الى الاسلام ، كانت قد حملتهم الحكومة القيصرية على النصرانية قسراً منذ مائتي سنة ، وحولت مساجدهم الى كنائس ، وأرسلت إليهم القساوسة ، وكانوا لا يزالون في الباطن مسلمين ، ولكن لم يقدرُوا ان يظهروا الاسلام إلا بعد ان سقطت الحكومة القيصرية إذ لم يصدقوا الحرية التي اعطتها قبل ثلاث عشرة سنة ، فلما زالت عادوا الى الاسلام ، وأعادوا مساجدهم الى اصلها ، ولكن ماهي الاغمامة صيف انقشعت حتى ظهر الشيوعيون على حقيقتهم ، وكسروا عن أنيابهم ، فقامت أعمال السلب والنهب تحت اسم مصادرة المحاصيل الزراعية والماشية والثروات تطبيقاً للنظام الاقتصادي الجديد ، وحدث ماحدث من فظائع وجرائم وذبح بالملايين تحت اسم النظام الجديد للحكم ، وقد قتل من المسلمين في هذه الاحداث خمسة ملايين ونصف المليون منهم مليون ونصف من العلماء وطلبة العلم الشرعيين اضافة الى الذين فروا من أوطانهم والتجأوا الى مناطق ثانية ، كما شنت على المساجد حرباً لاهوادة فيها فان ٧٠٠ مسجد قد حولت في بلاد التار الى اسطبلات ونواد ، واستمر الاضطهاد مدة ثماني عشرة سنة وان اخذ شكلاً أوسع وأشد حتى قامت الحرب العالمية الثانية .

ووقت روسيا كذلك في الحرب العالمية الثانية بجانب الحلفاء ضد دول المحور ، وتقدمت الجيوش الالمانية في أرضها وخافت روسيا من أولئك الذين عاشوا رداً من الزمن في اضطهاد دائم تحت سيطرتها ، فأعلنت حرية الاديان ، وسمحت باقامة الابنية الدينية على نفقة اصحابها وأنشأت أربعة مراكز ادارية اسلامية تحت اشراف أربعة مفتين يقيمون في

(طاشقند) و (باكو) و (اوبا) و (بونايك في شمالي القفقاس) ، وفي الوقت نفسه أرسلت أكثر من مليونين من الروس سكان المناطق التي اجتاحتها الجيوش الألمانية الى المناطق الاسلامية الاخرى •

انتهت الحرب وكان النصر في النهاية للحلفاء وفيهم الروس ، وهزمت دول المحور وعادت السياسة الشيوعية الى اصلها وحقيقتها في الاضطهاد والظلم والقتل الجماعي والانتقام وتهجير السكان حتى الوقت الحاضر ولعل أشد انواع الاضطهاد ما وقع في شبه جزيرة القرم •

ان البلاد الإسلامية في روسيا ليست تلك البلاد الفقيرة المهملّة وإنما هي غنية بمواردها سواء الزراعية منها أم المعدنية، وإذا كانت المناطق الواقعة شمال غربي بحر الخزر تعدّ صحراء فقيرة فذلك بسبب قلة الأمطار فيها، فإذا ما توفرت لها المياه انقلبت إلى جنات وارفّة ، ونهر (الفولغا) ليس عنها ببعيد وإنما يخترقها وتمتد أراضيها على ضفافه وجناباته وتحتاج فقط الى بعض المشروعات الاروائية ، وأما المناطق الأخرى فغنية جداً وإذا كانت أرض (بشكيريا) تبدو جبلية حيث تنتهي فيها جبال أورال التي تعد حدود قارة أوروبا من جهة الشرق إلا ان هذه المرتفعات إنما هي كومات من المعادن الثمينة النافعة فمنها يستخرج الذهب والفضة ومنها يؤخذ الحديد والنحاس والنيكل والكروم والتتفستين وفيها يوجد الفحم والنفط وإذا كانت موارد الطاقة لا تكفيها الا أن بلاد القفقاس تمتد في جنوبها وهي منبع النفط ، والعالم الإسلامي يتم بعضه بعضاً ، كما أن شبه جزيرة القرم غنية بمواردها الحديدية •

والمسلمون في روسيا شأنهم شأن بقية المسلمين في العالم من حيث الزيادة السنوية حيث تزيد عما هي عليه الحال في بقية الشعوب ، وتصل



الى ٤٠ بالالف، بينما لاتصل عندغيرهم الى ٢٠ بالالف، وهذا ما يخيف الروس، وإن كانت هذه الزيادة غير موجودة في بعض المناطق، وذلك بسبب الاضطهاد وتهجير السكان أو القتل الجماعي الذي لا يزال قائماً في أوقات كثيرة، وهذا يظهر عندما تزول الاحوال الشاذة القائمة، ويعود الأمر إلى حالته الطبيعية.

واللغة الروسية هي اللغة الرسمية في المناطق جميعها بل هي المفروضة، أما اللغة الوطنية فلم تبق لها سوى أهمية ثانوية، وأما كبار الموظفين والوزراء الاتحاديون فهم من الروس، وإذا كان الرجل من أنصار

الشيوعية فليس له تأثير فعلي ان كان يعود في أصله إلى الإسلام ، وان وجد في مركز كبير فإنما هو واجهة ويكون الذي بيده الحل والعقد من الروس وان كان أصغر مركزاً من الأول .

والامبراطورية الروسية تتألف من ١٤ جمهورية اتحادية ، ست منها من الجمهوريات الإسلامية إلا أنها كلها خارجة عن نطاق روسيا . وهي :

١ - قازاقستان .

٢ - اوزبكستان .

٣ - تركمانستان .

٤ - طاجيكستان .

٥ - قيرغيزيا .

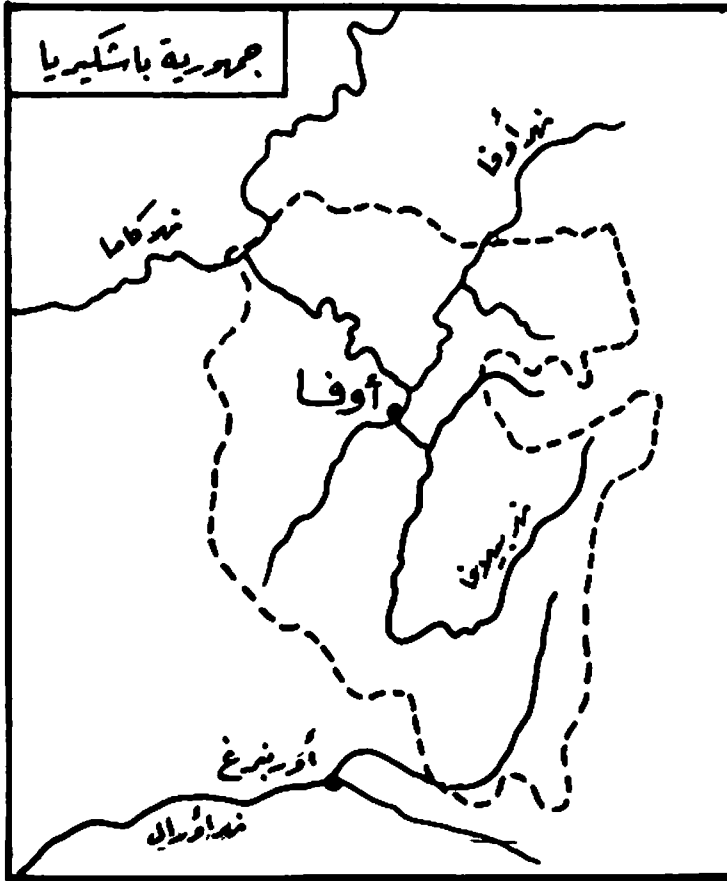
٦ - أذربيجان .

أما المسلمون في روسيا فيشكلون جمهوريات من الدرجة الثانية ، ونسمى جمهوريات ذات استقلال ذاتي ، ولكنها ترتبط بجمهورية روسيا الاتحادية التي مركزها موسكو وتتبعها مباشرة .

ومعظم هذه الجمهوريات تقع في شرقي روسيا سوى القرم التي تقع في الجنوب ، وقد فصلت هذه الجمهوريات عن الجمهوريات في تركستان بمنطقة (اورنبرغ) التي أصبح اسمها (شكالوف) ، والتي ارتبطت بدورها بموسكو للفصل بين المسلمين خوفاً من إرسال الطلبة التتار الى (بخارى) وغيرها كما كان يحدث ، وأهم هذه الجمهوريات هي :

١ - جمهورية باشكيريا

تقع في جنوب جبال أورال وتبلغ مساحتها ١٤٣،٦٠٠ كيلو متر مربع أي ميساوي ثلاثة أرباع مساحة سورية ولبنان ، ويقدر سكانها اليوم



بأربعة ملايين ،وتصل نسبة المسلمين بينهم الى ٥٥ في المائة على الرغم من هجرة الكثيرين من الروس إليها بسبب غناها •

لأتعدّ جبال (الأورال) حداً فاصلاً بين هذه المنطقة الإسلامية وغيرها من العالم الإسلامي فالجبال قليلة الارتفاع كثيرة الممرات وبسبب غنى هذه الجمهورية فقد كثرت فيها الطرق المختلفة التي تقطع الجبال، إضافة الى الأنهار الكثيرة التي تنحدر نحو الجنوب والتي تشكل ممرات طبيعية

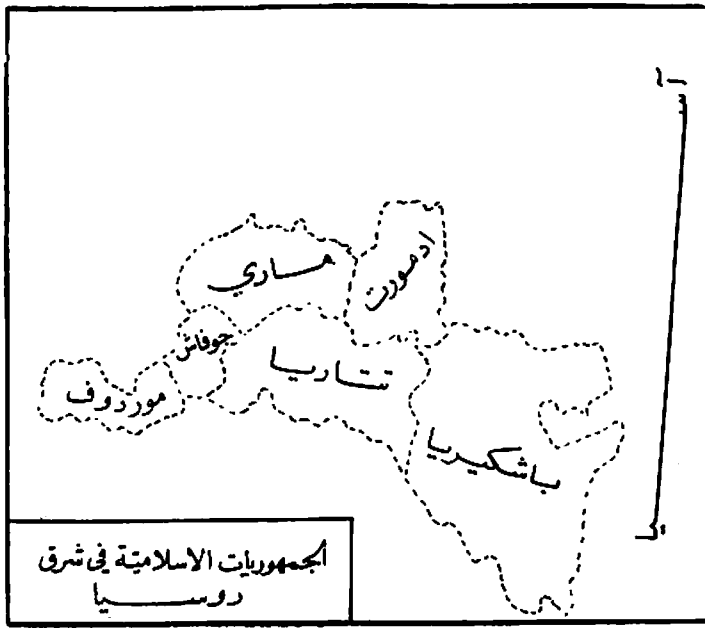
نصلها مع السهول الجنوبية •

تعدّ جمهورية باشكيريا غنية بمواردها الزراعية والمعدنية على حد سواء ، فالزراعة متقدمة بسبب التربة الخصبة التي تجرفها الأنهار من الجبال ، والأنهار كثيرة حيث يأتيها نهر (أوبا) من الشمال ، وترفده أنهار تنبع من داخل البلاد ومن الشرق ينبع نهر (بيلافا) متجهاً نحو الجنوب ثم يشكل قوساً وينعطف نحو الشمال ويغطي أكثر من ربع مساحة البلاد ، كما تأتيه روافد من الجنوب ، وتلتقي أخيراً هذه الأنهار كلها عند عاصمة البلاد مدينة (أوبا) وتخرج باسم نهر (بيلافا) الذي يتجه نحو الشمال الغربي وعند الحدود يلتقي بنهر (كاما) أهم روافد نهر (القولغا) ، وفي الجنوب تنبجس ينابيع كثيرة تشكل أنهاراً ترفد نهر (أورال) وأهمها النهر الذي يلتقي به عند مدينة اورنبرغ (شكالوف) •

كما أن هذه المنطقة غنية بالثروة المعدنية إذ توجد في جبال (أورال) معادن الفضة والذهب حيث تشتهر المنطقة بمناجمها وغناها ، كما يوجد فيها الحديد والنحاس والنيكل والتنفستين ولكن الفحم الموجود في أرضها قليل ومن النوع غير الجيد لذا تضطر الى استيراده •

تعدّ مدينة (أوبا) عقدة مواصلات مهمة حيث تتصل مع الجنوب بخط حديدي وآخر يتجه الى الغرب ويتفرع الى فرعين ومنها يخرج خطان يصلانها بسيبيريا إضافة الى طرق السيارات الكثيرة والنهرية •

ويعود الباشكير في أصولهم الأولى الى العنصر التركي ، وقد احتل الروس بلادهم عام ٩٦٥ هـ في عهد (ايفان الرابع) الذي عرف بالرهيب وقد قام (الباشكير) بعدة ثورات ضد الروس أشهرها التي انطلقت عام ١١٨٧ هـ ولكن هذه الثورات كانت تخمد بكل وحشية رقسوة ، وعلى الرغم من هذا الاصطهاد فقد بقيت منطقة باشكيريا منطقة



إسلامية اذ وجد فيها عام ١٣١٥ هـ ١٥٥٥ مسجداً و ٦٢٢٠ مدرسة إسلامية .

وبعد الثورة الشيوعية أنشئت جمهورية (باشكيريا) عام ١٣٣٨ هـ، وكانت عاصمتها مركزاً يلتقي فيه مسلمو روسيا ، ولا يعلم شيء عن وضع المسلمين اليوم في هذه الجمهورية .

٢ - جمهورية تاتاريا

تقع جمهورية تاتاريا في شرقي روسيا على حدود جمهورية (باشكيريا) الغربية وفي منطقة سهلية بين سفوح جبال (أورال) من جهة الشرق وتلال (بينزا) من جهة الغرب ، لذا تكون ملتقى للمجاري المائية القادمة من الشرق والأنهار المنحدرة من الغرب، فمن جهة الشرق يجري نهر (كاما) ومن

الغرب يأتي نهر (الفولغا) فيلتقيان جنوب مدينة قازان حاضرة الجمهورية ويتابع الفولغا جريانه نحو الجنوب ، لذا كانت المنطقة غنية بمزروعاتها •

تبلغ مساحة جمهورية (تتاريا) ٦٨٠٠٠٠ كيلو متر مربع أي مايقرب من ثلث مساحة سوريا ولبنان ، ويقيم على أرضها ثلاثة ملايين ونصف المليون من السكان وتزيد نسبة المسلمين على ٦٥ في المائة على الرغم من كثرة الروس الذين قدموا إليها لأغراض اقتصادية وسياسية بل ولأهداف استعمارية •

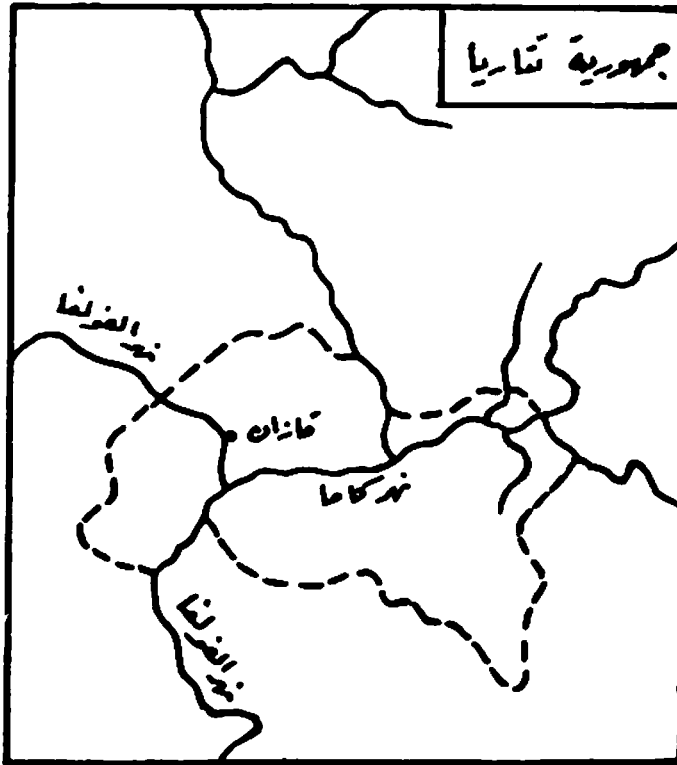
احتل الروس منطقة القتار هذه عام ٩٦٠ هـ وفي عهد (ايفان الرهيب) ، وعندما دخلوا العاصمة (قازان) بدأوا يجلبون أهلها ليجلوا محلهم أبناء جلدتهم ، وقد وجدوا انهم ينشرون الاسلام أينما ذهبوا فأبقوا القسم الباقي في مواطنهم ولكن الاضطهاد لم يكن بعيداً عنهم ، فقد كانت تحل بهم النكبات المتتالية بسبب الحقد الصليبي ، ومع ذلك فقد احتمل السكان كل انواع العذاب ، وكان رد فعلهم أقوى حيث زادهم تلك تمسكا بدينهم إذ كانوا يرسلون أبناءهم إلى مدينة (بخارى) ليتلقوا العلوم الدينية هناك حتى سقطت تلك المدينة بيد الروس عام ١٣٠٢ هـ •

وكانت (قازان) ذات جامعة اسلامية ومطابع تخصصت بطباعة المصاحف والكتب الدينية، وكان فيها مدارس ومكتبات اسلامية وكان دورها الاسلامي يزيد على دور دمشق والقاهرة واستانبول وحافظت على طابعها هذا حتى الثورة الشيوعية وان كان بعض السكان قد أبدوا شيئاً من التساهل أو ميلا نحو النصرانية إلا انه ظهر أنه كانت اتجاهاً سياسياً فما ان تعطى الحرية الدينية حتى يعودوا الى اسلامهم واستمر التتار يخفون اسلامهم طيلة هذه المدة التي تزيد على ثلاثة قرون ونصف فمن الصعب أن تزول عقيدتهم بسرعة في العهد الشيوعي •

سارت الشيوعية على سياسة القيصرية نفسها في معاملتها للمسلمين
فقد أنشأت جمهورية (تتاريا) هذه عام ١٣٣٩ هـ ولكنها حولت ٧٠٠
مسجد في بلاد التتار الى مواخير واصطبلات وكان في (قازان) وحدها
١٢ مسجداً ، أزيل معظمها من الوجود .

وتكاد تكون حالة المسلمين هناك مجهولة ولا يستطيع المرء أن يتوقع
شيئاً بسبب خوف السكان من جانب وثبات التتار أيضاً من جانب آخر
حسبما ظهر خلال التاريخ .

والتتار كالبشكير يتكلمون لغة تعود الى اصل تركي كما انهم يعودون
في الأصل الى أرومة واحدة انطلقت من اواسط آسيا وان حدث
الاختلاف على مدى الايام ويعدّ بعض المؤرخين التتار مجموعة كبيرة من
الأتراك .



٣ - جمهورية الجوفاش

وهي مجموعة تلال قليلة الارتفاع تقع في غرب جمهورية تتاريا بين نهر (الفلغا) الذي يجري عند حدودها الشمالية وبين أحد روافده الذي يجري من الجنوب الى الشمال قريباً من حدودها الغربية ، وتبلغ مساحة هذه الجمهورية ١٨٣٠٠ كيلو متر مربع أي قريباً من ضعف مساحة لبنان ، ويسكنها ما يقرب من مليون ونصف المليون من (الجوفاش) الذين يتكلمون لهجة ليست من أصل تركي .

احتل الروس بلاد (الجوفاش) عام ٩٦٠ هـ ، واتجهت اليها الارسلات التبشيرية ، واستطاعت التأثير فيهم حسب ادعائها ، وعمدوا جميعاً ، الا ان الاسلام قد انتشر بينهم حتى عم معظم مناطقهم ، وهذا ما ظهر عندما اعلنت حرية الاديان عام ١٣٢٣ هـ ، الأمر الذي سبب الضغط عليهم ، واستمر هذا الضغط بعد الثورة الشيوعية ، وانشأت لهم جمهورية خاصة بهم عام ١٣٤٤ هـ ، وأصبحت عاصمتهم مدينة (شوقساري) التي تقع في شمال البلاد قريبة من مجرى (الفلغا) .

٤ - جمهورية موردوف

وتقع في الجنوب الغربي من جمهورية (الجوفاش) وهي أكثر المناطق الاسلامية امتداداً نحو الغرب ، وتشكل السفوح الشمالية لتلال (بينزا) ، ويزيد سكانها على المليون وربع المليون ، وهي ذات لغة خاصة لا تمت الى الأصل، التركي ، تبلغ مساحتها ٢٥٠٠٠ كيلو متر مربع اي ما يقرب من مرتين ونصف من مساحة لبنان .

٥ - جمهورية ادمورت

وتقع شمال جمهورية (تتاريا) ، وتشمل بعض الهضاب الاورالية الغربية ، وتنبع منها بعض الانهار التي ترفد نهر (الفلغا) سواء من

جنوبها فتتحد مباشرة نحو (كاما) أم من شمالها فتشكل قوسه وتؤول في النهاية الى (الفلوفا) وان نهر (كاما) يمر من جنوبها الشرقي .

تبلغ مساحة جمهورية (ادمورت) ٤٢١٠٠ كيلو متر مربع أي ما يعادل مرة ونصف من مساحة فلسطين ، ويقع على أرضها ما يقارب المليون من السكان .

و(الادمورت) من الشعوب التي لا تتكلم لهجة تركية ، وتعيش بينهم قبائل من (الفن) مثل (الفويتاك) و(الشيريس) وقد احتكت هاتان القبيلتان بالتتار والباشكير جيرانهما في الجنوب والجنوب الشرقي فاعتنقتا الاسلام على الرغم من ان افرادهما كانوا نصارى اسماً ، وعُمدوا جميعاً ، وبعضهم كانوا وثنيين ، وفي سجلاتهم ضمن عدادهم فلم يسمح لهم باقامة المساجد ، ولما كانوا يحتنون أطفالهم ولم يشهروا إسلامهم فقد كان الروس يطلقون عليهم اسم (الكلاب المختونون) لذا يهجرون مجتمعاتهم ويقيمون في قرى خاصة لهم ولم تلبث ان ظهرت انها قرى اسلامية ، وارتفعت فيها المساجد عندما اعطيت الحرية الدينية لمدة محدودة .

لقد احتلت القيصريّة بلادهم ٩٦٨ هـ ، وحاولت فصلهم عن جيرانهم المسلمين كي لا يتأثروا بهم ولكنها لم تفلح فعندما جاءت الشيوعية تتم ما بدأته القيصريّة وجدت أن عدم الاحتكاك لا يتم إلا بوضعهم ضمن كيان خاص فأنشأت لهم جمهورية خاصة عام ١٣٥٣ هـ ، علّها تستطيع أن تبقي الذين لم يدخلوا في الاسلام بعد - حسب ظنّها - على ديانتهم السابقة سواء الوثنية ام النصرانية اسماً .

تقع عاصمة البلاد (ايجفسك) في القسم الجنوبي وهي عقدة مواصلات مهمة ، فتتصل مع الشمال والشرق والغرب بخطوط حديدية .

٦ - جمهورية ماري

وتقع شمال جمهوريتي (تتاريا) و(الجوفاش) ، وهي منطقة سهلية ير

نهر (القولغا) من جنوبها ، وترفده فيها بعض الانهار ، وهي تشغل الجزء الجنوبي من منطقة (كيروف) .

تبلغ مساحتها ٢٣٨٠٠ كيلومتر مربع أي أكثر من ضعف مساحة لبنان ، ويسكنها ثلاثة أرباع المليون ، وشعب (الماري) يتكلم لغة خاصة به ، لا تمت الى اللغة التركية بصلة وعاصمتهم (يوشكار أولا)

احتل الروس أرضها عام ٩٦٠ هـ وبقيت مناطق مهملة ، ويلقى سكانها الاضطهاد ، وعندما قامت الثورة الشيوعية رأت من مصلحتها إقامة جمهورية خاصة لهذا الشعب ، وتمّ ذلك عام ١٣٥٥ هـ .

٧ - القرم

القرم شبه جزيرة تقع شمال البحر الأسود ، وتقرب من جهة الشرق من البر مكونة شبه جزيرة (كرش) التي تكوّن باقترابها من البر مضيق (كرش) الذي يصل بين البحر الأسود وبحر (آزوف) ، وتشكل الجبال القسم الجنوبي من شبه جزيرة (القرم) بينما الشمال سهول فسيحة تضيق في النهاية فلا تتصل بالبر الاوروي إلا ببرزخ ضيق جداً ، وتبلغ مساحتها ٢٦١٥٠ كيلومتر مربع .

وصل الاسلام الى القرم عن طريق التتار إذ اعتنقته القبيلة الذهبية عام ٧٤٠ هـ ، التي أسسها (باطوخان) أحد أحفاد جنكيز خان عام ٦١٥ هـ واستقر التتار في المنطقة وعمروها ، ثم استولوا على املاك إمارة (جنوه) في (القرم) وبحر (آزوف) حيث كان الجنوبيون يسيطرون على الجزء الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة القرم وهي المنطقة الجبلية كما كان شمال بحر (آزوف) بقبضتهم ، ولما استولى التتار على هذه الاملاك عام ٧٨٠ هـ حكموها من قبل العثمانيين الذين كانوا في عهد توسع بينما كان التتار في عهد ضعف اضافة الى أن الروس قد بدأت شوكتهم تقوى ،

ففضّلوا أن يكونوا عمالاً لآخوانهم العثمانيين بدلاً من أن يخضعوا لخصومهم الروس الذين| بدؤوا ينازلونهم . ولما دمرَ تيمورلنك هذه الدولة فانقسمت إلى ثلاث خانيات ، كانت القرم إحداها ، وقد تولى حكمها أسرة (كيراي) (٨٣١ - ١١٩٨ هـ) التي وقفت أمام توسع الروس ، وقد حاصر (محمد كيراي) موسكو عاصمة روسيا عام ٩٢٨ هـ ، وأخضع حاكمها (واسيلي) وأجبره على دفع الجزية . كما تمكن (دولت كيراي) من دخول موسكو ٩٧٩ هـ ، ثم ضعفت هذه الدولة ، وبدأت اعتداءات الروس الذين| استطاعوا عام ١١٨٥ من قتل ثلاثمائة وخمسين ألف قلمي . وعندما أراد (شاهيم كيراي) إعادة قوة دولة القرم داهمته قوات كاترينا الثانية بقيادة الجنرال (بوتكين) فدخل القرم عام ١١٩٨ هـ .

انتصر تبار (القرم) على الروس ، وحكموا منطقة (الدونتز) من روسيا الجنوبية بل استطاعوا ان يصلوا الى مدينة موسكو وان ينهبوها عام ٩٧٩ هـ ، كرد فعل| ضد أعمال الروس الذين دخلوا بلاد التتار الشرقية ، وشرّدوا أهل (قازان) و(الحاج ترخان) ، ولكن الروس عادوا فانتزعوا من تبار القرم املاكهم الشمالية عام ١٠٩١ هـ ومنطقة (آزوف) عام ١١٠٧ هـ مما جعل العثمانيين ينزلون في شبه جزيرة القرم ، ويتخذون من مناطقها الجنوبية مراكز لهم ، كما استلموا مضيق (كرش) من انصارهم التتار .

بدأت الدولة العثمانية تضعف وتراجع عن مواقعها ، وان كانت قد استردت مدينة (آزوف) سنة ١١٢٣ هـ إلا أنهم قد فقدوا القرم نهائياً عام ١١٩٨ هـ ، وخضعت للروس الذين بدؤوا في اضطهاد التتار ومحاربة الاسلام ، حيث طردوا منها ٥٠٠ الف مسلم تتاري ، واصبحت القرم ملكاً للتاج الروسي يتصرف فيها الامبراطور كيف يشاء . وبدأت

هجرات القرم نحو تركيا حتى بلغت مليون مهاجر في مطلع القرن الرابع عشر هجري .

اعطت روسية القيصرية الحرية الدينية عام ١٣٢٣ هـ فقام التتار بنشاط اسلامي كبير ، واندلعت الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣ هـ ثم تم تلبث ان قامت الثورة الشيوعية ١٣٣٦ هـ ، عندها استغل التتار هذه الفرصة وأعلنوا استقلال بلادهم في ٤ - ٢ - ١٣٣٦ هـ ، وكان عدد سكان دولتهم خمسة ملايين نسمة ، واجريت الانتخابات في البلاد ، واجتمع المؤتمر الوطني ، ووضع دستوراً للبلاد .

نجح الشيوعيون في ضم المناطق التي استقلت عنهم والتي كانت خاضعة لروسيا القيصرية ، واتجهوا الى القرم ، ولكن التتار قاوموا العدوان الروسي ببسالة فائقة ، وعندما عجزوا عن ردّ أعدائهم لكثرتهم الكبيرة اعتصموا بالجبال ، وكان الشعب جميعه يد المعتصمين المقاومين في الجبال ، فلما رأى الروس أن حبل المقاومة طويل لجؤوا إلى حرب التجويع ، فنقلوا ما كان في الجزيرة المكافحة من أقوات ، الامر الذي عرّض السكان للهلاك ، وقد نشرت جريدة (الأزفستيا) في عددها الصادر في ٢٥ تموز ١٩٢٢ تقريراً للرفيق كالينين عن مجاعة القرم جاء فيه « بلغ عدد الذين أصابتهم محنة الجوع في شهر كانون الثاني ٣٠٢٠٠٠ مات منهم ١٤٤١٣ ، وارتفع عددهم في شهر آذار الى ٣٧٩٠٠٠ مات منهم ١٩٩٠٢ نسمة ، وبلغ في شهر نيسان ٣٧٧٠٠٠ مات منهم ١٢٢٧٥٤ وفي شهر حزيران ٣٩٢٠٧٢ ولم يذكر عدد الموتى إلا أنه قال : « ان أكل لحم الانسان لم يكن من الحوادث التي يستغرب لها او تبدو عجيبة في بابها ... وكانوا قد قتلوا من السكان ١٠٠ الف مسلم قبل عام اي اثناء دخولهم القرم ، كما أنهم هجروا خمسين ألفاً آخرين ، ونصبوا رئيساً لجمهورية القرم الاسلامية الشيوعي الهنغاري (بالاكون) ،

وقد أعدموا رئيس الجمهورية السابق (جلي نعمان جهان) وألقوا جثته في البحر .

فاستمر هذا الضغط وذلك الارهاب حتى جردّوا المسلمين من أملاكهم وما لديهم من ثروات ، وشرعوا يهدمون المساجد والمعاهد الدينية فلم يبق من ١٥٥٨ مسجداً بالقرم إلا آحاد تافهة ، أما جهرتها الكبرى فقد أزيلت أو تحولت الى اندية وقهوات ودور لهُ واصطبلات للخيل وحظائر للماشية ، وبدأ عدد سكان القرم البالغ خمسة ملايين عند قيام الثورة الشيوعية يتناقص تدريجياً .

وفي عام ١٣٣٨ أعلنت موسكو عن قيام جمهورية القرم ذات الاستقلال الذاتي ، وعينوا عليها رئيساً شيوعياً هو (ولي ابراهيم) .

غزا الالمان المنطقة اثناء الحرب العالمية الثانية ، ودانت لهم أجزاء واسعة من روسيا حتى اقتربوا من موسكو وأثناء المعارك التي احتدمت بين الالمان والروس استسلم للالمان على أبواب القرم الفيلق القرمي ، وكان تعدادة ثمانية عشر ألفاً انتقاماً من الروس وتخلصاً منهم وظناً بأن الالمان أفضل من الروس الذين اذاقوهم الويلات وأنزلوا بهم النكبات ، ولم يدر في خلداهم أن الكفر ملة واحدة ، وان عداء الكفر انما هو موجه للاسلام بالدرجة الأولى ، وبمجرد أن عرف الالمان أن المستسلمين من المسلمين ، نزعوا منهم السلاح ، وساقوهم حفاة مسافة ١٥٠ كم سيراً على الاقدام دون طعام ، وقد سقط بعضهم على الطريق من شدة الاعياء ، ثم سجنوا في جامعة بناؤها قلعة من قلاع العصور الوسطى لا يصل اليها النور ، ومنع عنهم الطعام بحجة نقص المواد الغذائية عند الالمان ، فبدؤوا يتساقطون جوعاً ، وقد امتدت ألسنتهم تقطر منها الدماء وقد ثلّمتها جدران السجن أثناء أخذها الدهان منها ، وكنت ترى الرجل يقفز على الجدار علّه يصل الى منطقة أعلى لم يذهب ما عليها من

الدهان ، وقد شخصت عيناه ، وامتد لسانه ثم لا يلبث أن يقع على جثث سبقتة ، وبدأ يخف عدد الموتى بدلاً من أن يزداد مع المدة فعرفت الضابطة الالمانية أن بعضهم يأكل لحم بعض من مات ، فاقناعتهم خارج السجن وقتلتهم رمياً بالرصاص جميعاً ، لم ينج منهم سوى ثلاثة شاء الله لهم الحياة ، حتى تصل إلينا أخبار هذه الكارثة الأليمة .

على الرغم من هذه الكارثة التي حلت بالتتار على يد الألمان ، ادعى الروس أن التتار شعب من عملاء الألمان تجب محاكمته إذ اجتمع مجلس السوفيت الأعلى في ١٣٦٣/٥/٢٠ هـ ، وأصدر قراراً بإلغاء جمهورية القرم نتيجة الخيانة ، والحاقها بجمهورية اوكرانيا . لذا دخلوا عاصمة القرم (باغجة سراي) الواقعة شرق مدينة آق يار (سيباستيبول) اليوم بين المرتفعات فبنّوا بطمس معالم الإسلام فيها حتى المساجد الأثرية مثل جامع (خان) وجامع (يازار) وجامع (اصاقويو) وغيرها كثير ، وجمعوا المصاحف الكريمة ، وأحرقوها في الميادين العامة ، وقتلوا من السكان ما يقرب من نصف مليون ، وأجلوا الباقي عن بلادهم ، وحلت جمهوريتهم .

ولا يزال تتار القرم يهيمنون على وجوههم في مناطق متفرقة من مجاهل سيبيريا وغيرها يطالبون بعودتهم الى مواطنهم ، واعادة جمهوريتهم على الرغم من انهم يعرفون أنها صورة وألحوبة بيد الروس يعرفون ذلك من تاريخهم ففي عام ١٣٤٧ هـ قتل الروس رئيس جمهورية القرم (ولي ابراهيم) مع جميع وزرائه ، لأنه اعترض على فكرة ستالين باقامة دولة يهودية في القرم وبالتالي تدفق الهجرة اليهودية نحوها وبعد عام نفي ٤٠ ألف قرمي إلى سيبيريا للعمل في معسكرات العمل الاجباري فمات الكثير منهم من شدة البرد والجوع وقسوة العمل . وفي عام ١٣٤٩ هـ قتلوا أيضاً رئيس الجمهورية (محمد قوباي) مع وزرائه ، لأنه اعترض على

سياسة التجويع في بلاده إذ استولت حكومة موسكو على منتجات القرم الزراعية وبدأت تبيعها في الخارج . ثم كرروا الحادثة عام ١٣٥٦ هـ مع رئيس الجمهورية (الياس طرخان) إذ استدعوه الى موسكو وقتلوه مع وزرائه رمياً بالرصاص على الرغم من انهم كانوا هم الذين يوافقون على تعيين هؤلاء الرؤساء والوزراء .

وبعد عشر سنوات من النفي خففت السلطات الروسية المراقبة عن المنفيين وسمح لهم بتغيير أماكن سكنهم على الا يتعدى ذلك حدود الولايات التي تم النفي إليها .

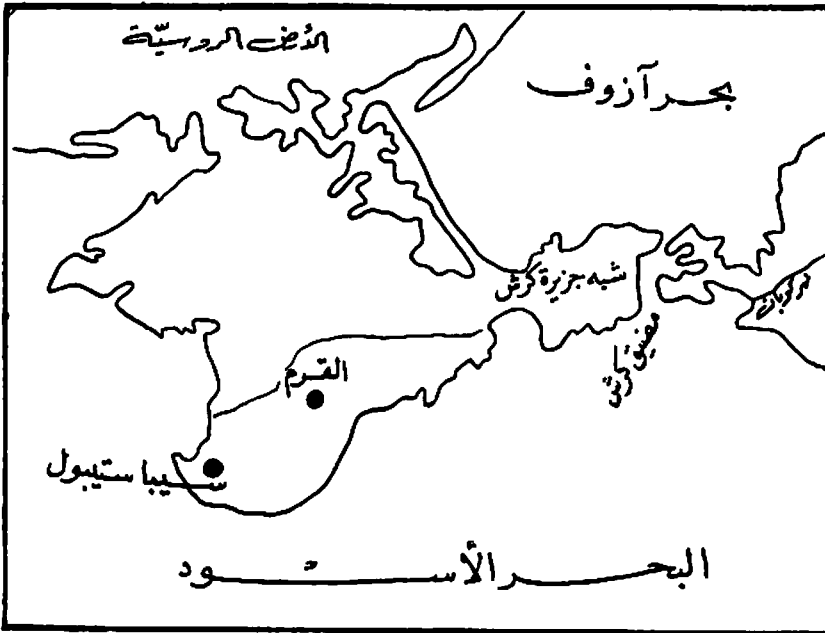
وفي عام ١٣٨٧ اتخذ مجلس السوفيت الأعلى قراراً بالغاء قرار اتهام شعب القرم بالخيانة إلا أن قرار تحريم العودة ما زال قائماً .

ومنذ عامين شعر الروس أن بعض المنفيين من تثار القرم يعودون إلى بلادهم دون إذن من السلطات الرسمية ، فأرسل الروس بعض أفراد رجال الأمن يخربون البيوت التي قطنها هؤلاء العائدون فوق رؤوس ساكنيها واقتادوا من نجا من الموت منهم إلى السجون ، ورفضوا طلبات الذين طلبوا العودة من التثار .

وشبه جزيرة القرم غنية بثروتها المعدنية وخاصة الحديد ، كما أنها شهيرة بفواكهها حيث يؤمن لها مناخها الدافئ جواً ملائماً لهذا النوع من الزراعة وهذا ما لا يتوفر الا في مناطق محدودة جداً من أراضي الامبراطورية الروسية .

أما المناطق الأخرى من روسيا فالمسلمون فيها متفرقون وقليلون وقد استقرت جماعة صغيرة من التثار المسلمين في أوائل القرن التاسع الهجري في (ليتوانيا) التي تتبع اليوم الامبراطورية الروسية ، والتي تعد جمهورية من جمهورياتها الاتحادية وقد احتفظ هؤلاء المسلمون بدينهم وسط ذلك المجتمع النصراني ، وكانوا يتزوجون من الليتوانيات

والبولنديات ، وكانت هذه النسوة ينشأن نشأة اسلامية ويربين أولادهن على ذلك ، الأمر الذي جعل عدد المسلمين يزداد بصورة اكثر من غيرهم ومعلوم أن المسلمين يباح لهم التزوج بأكثر من واحدة الأمر الذي يجعلهم بحاجة الى نساء أخريات غير نسائهم ، وكان عملهم ذلك في سبيل زيادة



عددهم ، ومحاولة ادخال عدد من السكان في الاسلام .
كذلك توجد جماعة من المسلمين في أقصى الشمال حول مدينة
(اركانجلسك) على البحر الابيض الشمالي .

وهكذا يبلغ عدد المسلمين في روسيا اثني عشر مليوناً ، وتكون
نسبتهم بالنسبة الى سكان روسيا البالغ عددها ١٩٠ مليوناً هي ٦ في
المائة بينما نسبتهم في كل أراضي الامبراطورية هي أكثر من خمسة
وعشرين في المائة من السكان .

وقد ضمت روسيا اليها منطقة من رومانيا تضم أكثر من ربع مليون
مسلم معظمهم من الأتراك والتتار وذلك إثر الحرب العالمية الثانية .
كما لا تخلو منطقة ولا مدينة كبرى من عدد من المسلمين يعيشون فيها
في أنحاء بلاد الروس كافة ، ويلاقون ما يلاقون من العذاب .

الفضل الثالث

سيريا

يطلق اليوم اسم سييريا على كل الأراضي في شرق اوربا الى سواحل المحيط الهادي في أقصى الشرق والتي تقع شمال تركستان والصين الى المحيط المتجمد الشمالي ، وهي ذات أراضٍ واسعة تزيد مساحتها على ١٢ مليون كم^٢ ، وهي مناطق سهلية في الغرب بينما تشكل المرتفعات معظم أجزائها في الشرق ، وتسيل مياهها من الجنوب الى الشمال على شكل أنهار غزيرة تتجمد مياهها في الشتاء لشدة البرد الذي يسود المنطقة ، وتغطي الغابة مساحات واسعة يليها صحارى باردة وواسعة وتنتقل في هذه الأرجاء قبائل تختلف وسائل حياتها بين منطقة وأخرى ، وتعود في أصلها الى العنصر الأصفر من الجنس المغولي ، وان كانت قليلة العدد لطبيعة بلادها الا أنها ذات أهمية .

لم يترك الدعاة المسلمون هذه القبائل دون الارتحال اليها في محاولة دعوتها إلى الاسلام ، وخاصة أولئك البخاريين الذين كانوا يشقون طريقهم اليهم ، ينتقلون بينهم ، ويعيشون معهم ، يدعونهم على الرغم مما في ذلك من مشقة وعناء ، وقد لاقى كثير من الدعاة مصرعهم ، ولكنهم ما انفكوا يخرجون اليهم لم يثنهم عن عزمهم أمر من أمور الدنيا ، ولم يكن ليرهبهم الموت ، أو ليخيفهم القتل ، فهم يعملون بغية نيل الشهادة للوصول الى الجنة .

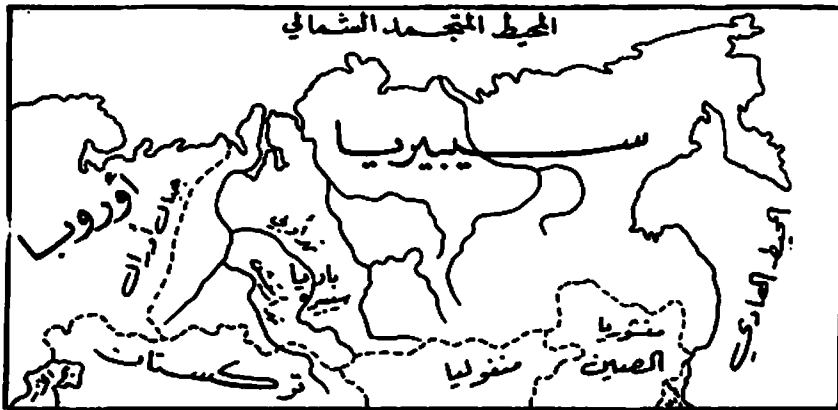
هذه الحقبة من التاريخ تكاد تكون مجهولة فلا نستطيع ان نتلمس فيها انتشار الدعوة وتوسع الاسلام ، وإن لم يخل من نجاح حصل عليه الدعاة فنشروا دينهم ولكن بين أفراد قلائل وجماعات معدودة لم يكتب لهم ذلك وان كان لهم أثر بارز في مجتمعهم .

لقد انضوت سيبريا تحت لواء الحكم الإسلامي إذ استطاع (كوتشم خان) أحد أمراء القبيلة الذهبية أن يغزوها ويتولى أمرها عام ٩٧٨ هـ ، وكما يقال أن أبناء تلك الجهات قد استدعوه ليكون خائناً عليهم وقد خلا هذا المنصب عندهم من وريث يملؤه ، وقد بذل هذا الأمير قصارى جهده لدخول رعاياه في دينه الاسلامي ، وأرسل الى (بخارى) يطلب الدعاة ليساعدوه في مهمته التي لاقت شيئاً من النجاح .

ان الزحف الروسي القادم من الغرب والذي كان يلاحق التتار في بلادهم ويتعقب المسلمين حيثما وجدوا ، هذا الزحف قد حال دون استمرار انتشار الإسلام بين تلك القبائل الوثنية اذ استطاع الروس احتلال عاصمة التتار في تلك الارحاء وهي مدينة (سيبير) الواقعة على نهر (اوبي) وذلك عام ٩٨٨ هـ أي بعد عشر سنوات فقط من قيام (كوتشم خان) بالأمر ، وعرفت البلاد التي تقع شرقي جبال اورال كلها باسم (سيبيريا) تحليداً لذلك الاستيلاء على تلك المدينة ، ولكن هذا لم يكن كافياً لمنع انتشار الإسلام ، فقد استمر قدوم الدعاة من مدينة (بخارى) وبقية مدن بلاد ما وراء النهر وحتى من مدينة (قازان) التي كانت في قبضة الروس منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، واستطاع هؤلاء الدعاة أن ينشروا الإسلام بين قبائل التتار الضاربة بين نهر (اوبي) ورافده (ارتيش) والتي يطلق عليها اسم (باريا) وذلك في عام ١١٥٨ هـ ، وإذا بقي بعضها على الوثنية حتى بداية القرن الثالث عشر فانها جميعاً بعد ذلك أصبحت مسلمة .

ويجب الا ننسى أولئك المسلمين الذين يعيشون في مجاهل سيبيريا
منفيين ، ولا تكاد تخلو منهم منطقة لكثرتهم بل لرفدهم في كل عام بأفواج
جديدة غضب عليها الروس .

ولا نعرف اليوم أوضاع أهالي سيبيريا وحياتهم الاجتماعية وهل
استطاع الروس أن يخمدوا أثر الإسلام في تلك الأصقاع ويحولوا دون
انتشاره أم لا تزال أشعة من سناه تحترق بهم الظلام الحالك ولا تستطيع
مناجل الروس رؤيتها ولا مطارقهم من طرقتها؟ هذا ما يخشاه المسيطرون
هناك وهذا ما نتوقعه فان الايمان لا يحده سيف وما كان في القلب لا
تصل اليه مادة الا أن يشاء الله ذلك ، وان في كل رجل اعتنق الاسلام في
تلك الجهات درساً ، وفي كل مقاومة عبرة ، وفي كل ثبات حكمة وفي كل
نكبة انذاراً وموعظة .



الفضل الرابع

قفقاسيا

هي البلاد الواقعة بين البحر الأسود وبحر الخزر من جهتي الغرب والشرق وبين نهري (ترك) و(كوبان) شمالاً ونهري (كورا) و(ريفون) جنوباً أي تشمل جبال القوقاز وسفوحها الشمالية والجنوبية ، وان اصبح هذا الاسم يطلق اليوم على مناطق أوسع بكثير شمالاً وجنوباً . وجبالها عظيمة الامتداد ، كثيرة الارتفاع صعبة الاجتياز ، قليلة الممرات ، تمتد على طول ١٢٠٠ كم لتصل ما بين البحرين الأسود والخزر ، وتعد أعلى جبال أوروبا حيث يصل الارتفاع الى ٥٦٣٠ م في قمة (البروز) ، وتشكل فيها الثلجات الدائمة كثلاجة «ماروخ» ، وهي بارتفاعها الشاهق وامتدادها الواسع تسد ما بين البحرين تماماً وتعد الحد الفاصل بين أوروبا وآسيا ، والممر الوحيد في وسطها هو ممر «دريال» الذي يجري فيه أحد روافد نهر (ترك) العليا ، كما أن منطقتين يمكن اجتياز هذه الجبال من خلالهما ، وهما واقعتان على سيف البحر من الشرق والغرب ، وبواسطة هذه الممرات تسيطر هذه البقعة على التجارة بين أوروبا وآسيا .

ان جميع الشعوب التي دخلت أوروبا عن طريق قفقاسيا واجتازت احدى هذه الممرات قد استقر بعضها بقصد الغلبة على المنطقة ، وتحصنت فيها جماعات رغبة في التجارة ، والتجأت إليها أقوام فراراً من جيرانها

أو غزاتها ، وكانت أن ضمت مزيجاً من الشعوب انصهرت فيما بينها وعرفت باسم (القفقاس) إلا أنها ترجع الى أصول مختلفة وشعوب متباينة ، والجماعات الحربية التي التجأت اليها وتحصنت بها وانعزلت عن غيرها احتفظت بلغتها وعاداتها وحافظت على كيائها ، فنشأت مجموعات عديدة وقبائل كثيرة لكل منها لغتها الخاصة ، وعرفت كلها بالشجاعة والإقدام والقوة وشدة البأس وتعشق الحرية وعدم الصبر على الضيم .

وجرّ موطن هذه الشعوب عليها صعباً كثيرة فطمعت فيها الدول المجاورة التي تريد السيطرة ، وحاولت احتلالها كل الحكومات العسكرية الناشئة فغزاها الآشوريون والكلدانيون والمصريون القدماء وخضعت لنفوذ بيزنطة بعد أن انتشرت النصرانية في جنوبها في أوائل القرن الميلادي الأول ، واستولت الصين على جنوبها ، وكان دولتا الفرس والرومان كفرسي رهان على امتلاك أرمينيا وجنوبي القفقاس ، وإضافة الى الغزاة فقد قامت فيها حكومات محلية فأقام (القوشة) في وسط المرتفعات حكومة عرفت في الكتب العربية باسم حكومة (اللان) ، وأسس (الداغستان) دولة في السفوح الشرقية للجبال أسماها الفاتحون المسلمون حكومة (السرير) .

عرف العرب المسلمون بلاد القفقاس منذ عهد الخلفاء الراشدين ، وقد أطلقوا على جبالها اسم « القبق » كما كانت تعرف باسم « القبقج » ، و« القبقج » و« القفجاق » .

تمتع قفقاسيا بموقع ممتاز ، حيث يقع البحر الأسود في غربها مما يضفي عليها مناخاً جيداً هو مناخ البحر الأبيض المتوسط ، فالصيف جاف ولطيف وان كان في الأودية حاراً نسبياً لكنه في المرتفعات معتدل وجيد والنسيم صحي عليل أما الشتاء فمطير ودافئ وهذا المناخ غير

معروف في روسيا والبلاد التي تسيطر عليها فأكثرها شديد البرد وهذا ما حدا بالروس الى أن يوجهوا عنايتهم الى هذه المنطقة لاستثمارها جيداً وانتاج ما يحتاجونه من منتجات البلاد المعتدلة الدفيئة والمناطق الحارة ليتسنى لهم تطبيق سياسة الاكتفاء الذاتي وعدم الاستيراد من الخارج وبالفعل استطاعوا انتاج الشاي مع أنه من زراعات المناطق الحارة ، وقد انتشرت زراعته انتشاراً جيداً كما استطاعوا زيادة انتاج الفاكهة من الأودية والسفوح الجبلية والسهول المروية مع انها من زراعة البلاد المعتدلة هذه المزروعات تنقل الى روسيا . أما الزراعة التقليدية فهي الحبوب ، ثم عرفت زراعة القطن والشمندر السكري والبطاطا والكتان كما تربي الماشية وتضطاد الأسماك وخاصة من بحر الخزر .

ومنطقة قفقاسيا غنية بالثروات المعدنية وخاصة النفط وتعدّ تلك المنطقة ثاني منطقة في العالم بعد منطقة الخليج العربي من حيث احتياطي النفط ويستخرج اليوم من (باكو) و(باطوم) و(غروزني) و(مايكوب) ويوجد النحاس في أرمينيا وكذا الرصاص والتوتياء يوجدان في شمالي القفقاس ويستخرج الملح من بحر الخزر ، وتصنع المنطقة المنسوجات الصوفية والسجاد .

والمواصلات مهمة وغايتها نقل منتجات المنطقة الى البلاد الروسية ونقل النجديات العسكرية اذا اقتضى الأمر ، وتساير السكك الحديدية السواحل ثم تتصل خطوط السواحل بعضها مع بعض في شمالي القفقاس بخط واحد ، وفي جنوبها بخطين أحدهما يساير الحدود الإيرانية والتركية وآخر يمر بـ (تفليس) عاصمة جورجيا .

ويمكن أن تكون المناطق الجبلية مصايف شهيرة لجودة مناخها وحسن مناظرها ومفاتيح أوديتها الجميلة وروابيها الخضراء ، ولم تبدل أية مجهودات في هذا المجال .

وصول الإسلام :

وصل الإسلام الى هذه المنطقة عن طريق الفتح وعن طريق الدعاة ، فقد أغار عليها (عياض بن غنم) عام ١٨ هـ ، ثم فتحها (سراقة بن عمرو) اذ بعد أن استولى على (اذريجان) تابع فتوحاته لنشر الإسلام وكان على مقدمة جيشه الذي سار نحو الباب (عبد الرحمن بن ربيعة) ثم على رأس الجيش الثاني الذي سار نحو الداخل (حبيب بن سسلمة) وذلك عام ٢٢ هـ في أواخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وقد وضعت الجزية عن الذين اشتركوا مع المسلمين في القتال بناء على طلب ملكهم (شهرزاد) ، ودانت بعض القبائل بالإسلام وأولها (القوموق) ، وقد انتفض السكان عدة مرات على الولاة وقتلوهم ، وسيّر اليهم القادة . ولم تنته الدولة الأموية الا وقد استقر الحكم لها في قفقاسيا ، كما استقر للعباسيين طيلة عهد الخلفاء الخمسة عشر الأوائل أي حتى عام ٢٧٧ هـ ، حيث حكم (بنو ساج) قسمها الشرقي ، وبعد عام ٣٢٩ هـ تقدم اليها البيزنطيون، ثم انفصل الكرج واحتلوا مدينة (تفليس) عام ٤١٧ هـ ، وكانوا يدينون بالنصرانية ولم يلبث أن جاء السلاجقة عام ٤٥٧ هـ ، واحتل (ألب أرسلان) بلاد الكرج عام ٤٦٥ هـ ، وتبعهم المغول أيام (جنكيزخان) كما استولى (تيمورلنك) على البلاد بعد ذلك ، وكان الكرج يفصلون كلما سنحت لهم الفرصة أو كلما وجدوا ضعفاً من صاحب السيطرة الى ان نزل إلى الميدان القرس والعثمانيون ونتيجة لهذه التقلبات الكثيرة لم ينتشر الإسلام في هذه الرقعة من الأرض على نطاق واسع كما لم تنتشر أية ديانة أخرى ، وإنما بقي السكان على دينهم الذي كانوا عليه منذ البدء يخشون تقمة الحاكم الغالب ولم يعرفوا

قيمة الايمان ماداموا لم يدخلوا فيه •

بدأت روسيا تتدخل في شؤون قفقاسيا بعد توسعها وأخذت على عاتقها حماية بلاد الكرج النصارى عام ١١٩٨ هـ ثم ضمتها اليها نهائياً عام ١٢١٥ هـ بعد حروب خاضتها مع العثمانيين والداغستان بقيادة (عمر خان) والشاشان وكانت الدولة العثمانية في حالة من الضعف فتركت روسيا وشأنها في بلاد القفقاس وكذا كانت حالة الفرس مما جعل الروس يضمون اليهم جزءاً بعد آخر •

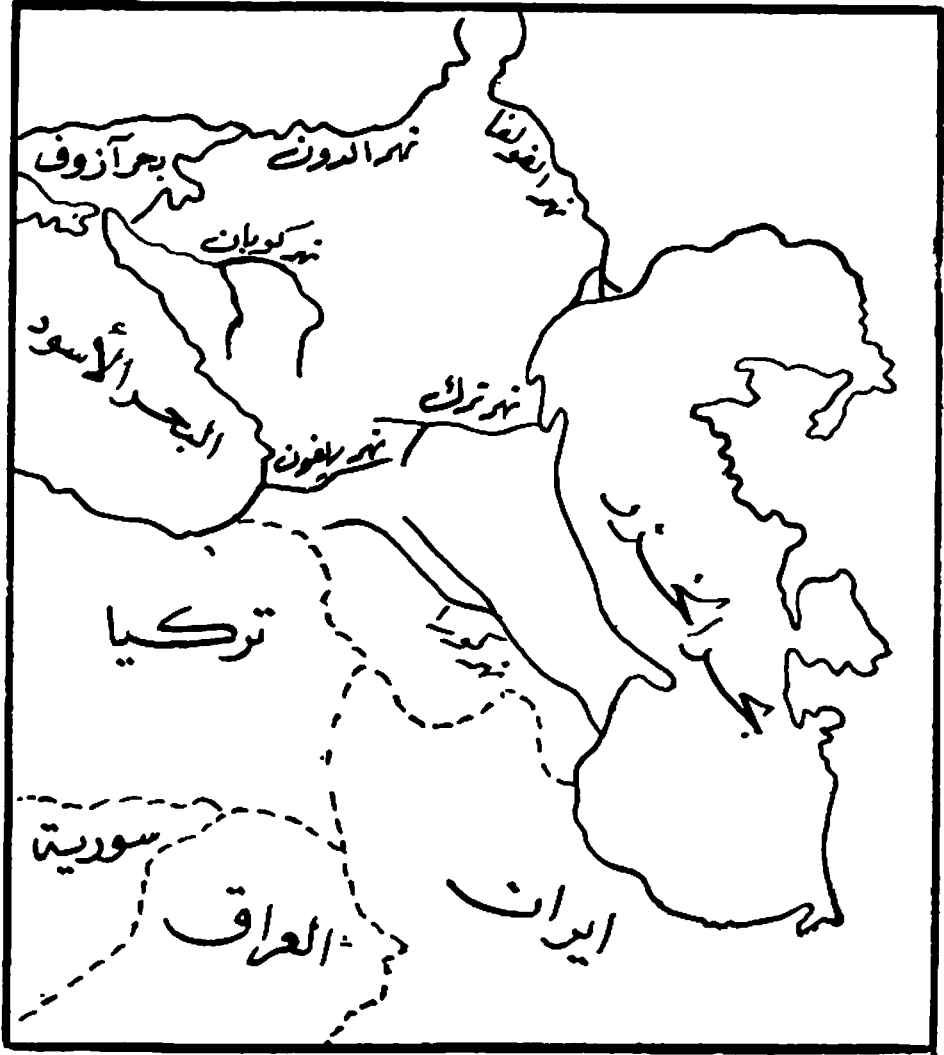
قام الشيخ شامل يتزعم سكان البلاد وقبائلها المختلفة ، ويحارب الروس ، ولكنه في النهاية أسر عام ١٢٨٠ هـ واحتلت روسيا قفقاسيا نهائياً ، وبدأت أفواج اللاجئين من تلك البلاد تفر إلى اخوانهم في تركيا والعراق وبلاد الشام ، وبدأت روسيا تطبق سياستها التقليدية تجاه المسلمين سياسة الاضطهاد وارسال الروس إلى بلادهم •

استلم الشيوعيون الحكم من القيصرية فساروا على خطتهم وان كانوا وقت الشدائد يعلنون أنهم يعطون الحرية الدينية للتقرب من الشعب ، وما إن تنتهي الأزمة حتى يعود الاضطهاد أشد مما كان .. كذا قبل أن يتمكن الشيوعيون من استلام السلطة وأثناء الحرب العالمية الثانية •

لقد قتلت جماعات وأيدت قرى كاملة وقصفت مدن بالطيران والمدفعية وشردت شعوب ونقلت أقوام بأجمعها إلى مجاهل سيبيريا ، ولا تزال البلاد تخضع لهذا النوع من الحكم القاسي والاضطهاد الفاشي • تبلغ مساحة قفقاسيا ٣١٤٣٠٠ كم^٢ أي بقدر مساحة بلاد الشام كافة ، ويسكنها ما يقرب من ١٥ مليوناً من السكان ، وهم مجموعة من القبائل أهمها (الجراكسة) و (الشاشان) و (القوشحة) و (الداغستان) إضافة إلى الكرج والأرمن والكرد •

١ - الجراكسة :

والاسم القومي لهم « الأديغة » ويعودون من حيث الجنس إلى المجموعة الهندية الاوروبية ويقال إنهم من أحفاد الحثيين كما يقال إنهم من سلالة المصريين القدماء ، ومعنى كلمة جركس الجندي البارع ، ويقال ان التتار قد أطلقوا عليهم هذا الاسم ومعناه قاطع الطريق، حيث يتحكمون بالمرات الجبلية بين آسيا وأوروبا كما يقال إن الفرس هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم ومعناه أنه يضم أسماء القبائل الأربعة ويسميهـم العرب سركس وسراكس وهم مجموعة قبائل صغيرة أهمها :



٢ - الابطاظة : وهم قسمان شمالي ويعرف بالابازين وقد اتصلوا
بالقبرطاي واعتنقوا الإسلام ، وجنوبي ويعرف بالابخاز وكانت صلتهم
قوية بالكرج ويدين أكثرهم بالنصرانية •

ب - القوشحة : أو القوصحة والاسم القومي لهم (الآيرون) اما
الاسم التاريخي فهو (الاستين) ويطلق عليهم الكرج اسم (توالتا) ،
ويسكنون القسم الأوسط من جبال القوقاز في مرتفعاته المنيعه وقممه
الشاهقة • وكما يعدون أحيانا من غير الجراكسة إذ أنهم مجموعة خاصة،
لهم لغتهم الخاصة وعاداتهم المتميزة •

ج - الازاخ : وهم يقطنون سفوح الجبال الشمالية وهم من
المسلمين •

د - القبرطاي : وقيمون شمال (القوشحة) ويتمسكون بدينهم
ويشتهرون بتربية الخيل •

هـ - بزادوغ : وقيمون شمالي البلاد الجركسية، وينتشرون حتى
مصب نهر كوبان •

و - شابسينغ : ويعيشون شرق قبائل (البزادوغ) •

ز - حاتوقواي : وتقيم بالقرب من البزادوغ •

وهناك قبائل صغيرة اخرى من الجراكسة •

ويبلغ عدد الجراكسة ما يزيد على المليونين ونصف المليون •

٢ - الداغستان :

ويقيم الداغستان شرق الجراكسة ويشرفون على بحر قزوين
وينتشرون من نهر (ترك) شمالا حتى حدود أذربيجان جنوبا ، وتشمل
بلادهم الجزء الشمالي من بلاد (شروان) ، ويتحكم الداغستانيون بمر
قفقاسيا الشرقي وهو (باب الأبواب) الذي يسمى اليوم (دربنت) أو

أن كلمة (دربنت) وهي فارسية تعني باب الأبواب ، ومن هذه القبائل :
٢ - الداغستان : وهم سكان الجبال ، وهذا مايعنيه هذا الاسم
باللغة التركية .

ب - الشاشان : وتقيم هذه القبائل شمال غربي الداغستان ، وإن
كانوا يعدون مجموعة خاصة لهم لغتهم وعاداتهم ، وهناك (الانغوش)
وهم جزء من الشاشان او كلاهما فرع من أرومة واحدة .

ج - القوموق : وهم أول من اعتنق الإسلام ، ويقيمون في شمال
الداغستانين ، وتأسست في بلادهم إمارة طارقي الشامية وكانت عاصمتها
مدينة (طارقي) وتسمى اليوم (بتروفك) .

د - الآندي : وهم مجموعة من القبائل ويعرفون بـ (الزكي) وإن
كانت كلمة (لزكي) كثيراً ما تدل على الداغستان جميعاً ، ولقد أسس
(الآندي) حكومة خاصة لهم في منتصف القرن الثالث عشر الهجري
خضعت للأمير شامل .

ويبلغ عدد القبائل الداغستانية أكثر من مليونين ونصف المليون .
٣ - الآجار : وهي قبائل تسكن المنطقة القريبة من حدود تركيا ،
ويزيد عدد أفرادها على ٤٠٠ ألف نسمة .

٤ - الكرج : ومنطقتهم جورجيا ، ويزيد عددهم على المليونين .
٥ - الكرد : ويقيم معظمهم في أذربيجان ويصل عددهم إلى ١٥٠
ألف نسمة .

٦ - التتار : وتقيم القبائل التتارية في أذربيجان وشالي بلاد
الداغستان ، ويزيد عددهم على مليونين ونصف .

٧ - الأرمن : وعددهم مليون ونصف المليون في أرمينيا .

٨ - ترك : ويزيد عددهم على ١٥٠ ألف ساكن .

٩- يهود : وعددهم ٧٠ ألفاً •

١٠- المان : وعددهم ٦٠ ألفاً •

كما يعيش في المنطقة نصف مليون من أجناس أخرى ، أما الروس فقد وصل عددهم إلى أربعة ملايين اذ أصبحت نسبتهم ٢٥ في المائة من السكان جاؤوا إلى المنطقة مستعمرين وأنصاراً للحكم ومراقبين للسكان، ومبشرين بالشيوعية •

ولكل مجموعة من هذه المجموعات لغتها الخاصة ، ولكنها تقريباً من أصل يختلف عن اللغة التركية عدا الأتراك والتتار وبعض القبائل الصغيرة مثل (القرتشاي) الذين يشتركون في جمهورية (قارتشاي الشركسية) و (البلكار) الذين يشتركون مع القبرطاي في جمهورية (قابرديا بلكاريا) •

أما من حيث الأديان فيمكن ملاحظة الجدول التالي لناخذ صورة عنها •

المجموع	عدد السكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين	ملاحظات
الجراسة	١٢٣٥١٠٠٠	١٢٣٥١٠٠٠	١٠٠ في المائة	بجميع القبائل عدا الاباظنة والقوشحة
الاباظنة	٤٨٩٠٠٠	١٦١٠٠٠	١٠٠ في المائة	من الجراسية
القوشحة	٦٠٠٦٠٠	١٦٥٠٠٠	١٠٠ في المائة	من الجراسية
الداغستان	٢٥٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠	١٠٠ في المائة	بجميع قبائلهم
الآجار	٤٠٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠	١٠٠ في المائة	
الكرج	٢٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	٣٥ في المائة	
التتار	٢٥٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠	٢٥ في المائة	
الكرد	١٥٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠	١٥ في المائة	
الآرمن	١٥٠٠٠٠٠	١٥٥٠٠٠٠	١٠٢ في المائة	
اليهود	٧٠٠٠٠٠	—	—	
الآلمان	٦٠٠٠٠٠	—	—	
بقية الاجناس	٥٠٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠٠	١٠ في المائة	
المجموع	١٢٣٣٠٠٦٠٠	٧٨٧٧٢٠٠	٦٠ في المائة	

أما الروس فلا يمكن تعدادهم مع السكان لأنهم غرباء مستعمرون وبهذا تكون المنطقة إسلامية وتقسم المنطقة إلى عدد من الأجزاء تختلف في نوع الحكم فهناك •

١ - ثلاث جمهوريات اتحادية وهي :

أ - أذربيجان •

ب - جورجيا •

ج - أرمينيا •

٢ - سبع جمهوريات ذات حكم ذاتي هي :

أ - داغستان • وتتبع روسيا •

ب - شاشان انفوشيا وتتبع روسيا •

ج - قابرديا - بلكاريا ، وتتبع روسيا •

د - أوستينا الشمالية ، وتتبع روسيا •

هـ - أبخازيا وتتبع جورجيا •

و - آجاريا وتتبع جورجيا •

ز - ناخيتشفيان وتتبع أذربيجان •

٣- أربع مناطق ذات حكم ذاتي هي :

أ- الاديفة وتتبع روسيا •

ب- قارشاى الشركية وتتبع روسيا •

ج- اوستينا الجنوبية وتتبع جورجيا •

د- قره باخ وتتبع أذربيجان ، وتقع في وسطها •

هذا التقسيم غريب فعلى الرغم من صغر المنطقة فهي مقسمة إلى أربعة عشر قسماً وذلك من أجل امكانية السيطرة كما أن معظمها يتبع موسكو مباشرة ، وتتداخل هذه الاقسام مع بعضها بعضاً ، والمناطق الجبلية التي يسكن أن تكون مركزاً للتمرد أكثر الاجزاء عدداً وصغراً •

أذربيجان

تشمل أذربيجان الجزء الشرقي من جمهوريات ماوراء القوقاز (الترانسقواز) ، وتحيط بها الجبال من جميع الجهات فلا تنفتح إلا من جهة الشرق حيث بحر الخزر ، وهذه الجبال هي القفقاس من الشمال ، وأرمينيا من الغرب ، وجبال أذربيجان الإيرانية من الجنوب ، وأمطار السهول قليلة لانحصارها بين المرتفعات التي تجري مياهها منحدره من المرتفعات الى السهول وخاصة في الربيع نتيجة ذوبان الثلوج ، وأشهر هذه الانهار نهر (كورا) الذي يفيض في الربيع ، وقد أقيم عليه سد على خائق يعترض مجراه ينظم جريان النهر في منطقة السهول الفسيحة التي نلي الخائق وتكون نتيجة لذلك خزاناً كبيراً وسط البلاد تصرف مياهه بحساب في قنوات عديدة تروي المناطق الجافة التي أصبحت معدة لزراعة القمح والقطن ، إضافة الى التبغ والأرز .

ولما كانت جبال القوقاز تحمي المنطقة من الرياح الشمالية الباردة فإن ذلك ساعد على زراعة التفاح والتوت والجوز والعنب والأجاص كما أن سهول (تاليش) الجنوبية قد أصلحت أراضيها ، وقامت مزارع الشاي والحمضيات والتين والرمان ، وأمكن زراعة المطاط المكسيكي . وأذربيجان غنية بمصادر الطاقة والثروة المعدنية ، وأهم هذه المصادر النفط الذي يوجد في شبه جزيرة (أبشيرون) بالقرب من مدينة (باكو) ويوزع النفط الخام الى (استراخان) و (باطوم) ، وتعدّ هذه المنطقة أهم مكان للنفط في الامبراطورية الروسية إذ بفضلها حافظت الامبراطورية على الاكتفاء الذاتي إذ بلغ الانتاج في منطقة (باكو) عام

١٣٥٧ هـ ٢١ مليون طن ، ويمثل هذا الانتاج ٧٥ في المائة من الانتاج في الامبراطورية الكلي ، واستمر الانتاج على هذه الكمية إذ بلغ عام ١٣٧٥ هـ ٢٢ مليون طن ولكن لا يمثل سوى ١١ في المائة ولا تزيد النسبة اليوم على ١٠ في المائة ، ثم هناك الغاز الطبيعي وتنتج ١٢ ملياراً من الامتار المكعبة في العام .

وبعد النفط تأتي أهمية (البوكسيت) إذ تعد اذربيجان المنتج الثاني في العالم بعد الصين ، كما تحوي أرض اذربيجان على الحديد والنحاس والكوبالت والرصاص .

وتربي الحيوانات وأهمها : الأغنام ٥٥٠٠٠٠٠ رأس
الابقار ١٥٠٠٠٠٠ رأس

وفيها الحصان ذو السنام .
ويلعب صيد السمك دوراً مهماً في اقتصاديات أذربيجان ، ومعظمه يأتي من بحر قزوين عند مصب نهر (كورا) كما توجد بعض الأشجار الكثيفة ذات الاخشاب الصلبة في اقليم (تاليش) في الجنوب .

وأهم مواد الثروة الزراعية هي :

القمح	٥٥٠٠٠٠٠	طن
القطن	٢٧٧٠٠٠٠	طن
البطاطا	١٣٠٠٠٠٠	طن
الشاي	٥٠٦٠٠٠٠	طن

تبلغ طول السكة الحديدية ١٧٠٠ كم وهي ثلاثة خطوط :
١ - من باكو ويتجه نحو الغرب باتجاه (تفليس) عاصمة جورجيا .

٢ - من باكو نحو الشمال موازياً لساحل بحر الخزر تجاه داغستان .

٣ - من باكو نحو الجنوب ، ويوازي حدود ايران وتركيا .
ويصلح نهر (كورا) للملاحة في مجراه الاسفل للسفن الصغيرة .
وأذربيجان بلاد سياحية لمناظرها الخلابة كما فيها عدد من الينابيع
المعدنية .

تبلغ مساحة اذربيجان ٨٧٠٠٠ كم^٢ ، ويبلغ عدد سكانها
٢٢٠٠٠٠ نسمة ، ويتألفون من العناصر التالية :

الاذرييجانيون ويشكلون	٦٧٥	في المائة
الأرمن	١٢	في المائة
الكرج	٠٢٧	في المائة
الروس	١٤	في المائة
تاليش	٣	في المائة

١٠٠

وتعيش الاقليات في المدن ، بينما ينتشر الأذربيجانيون في
السهول ، ويتركز الروس حول (باكو) في مناطق النفط وقد دخلوا
مستعمرين .

يتكلم الاذرييجانيون اللغة التركية ، وان كانت قد فرضت عليهم
اللغة الروسية الآن .

تبلغ نسبة المسلمين ٧٨ في المائة من السكان ، وهم الاذرييجانيون
والتاليش ، أما الارمن والكرج فيعتنقون النصرانية ، أما الروس
فدخلاء .

خضعت (باكو) للسيطرة الروسية عام ١٢٢١ هـ ، وبدأ الاضطهاد الواسع
للمسلمين ، وجلب الروس الى بلادهم أعداداً من أبناء جلدتهم ، وعندما
قامت الثورة الشيوعية دخلت قوات الجيش الاحمر المنطقة ، وابتدأت
المجزرة الزهية ، واغتيل الزعماء المسلمون ، وقامت فيها الجمهورية

الأذربيجانية السوفيتية الاشتراكية عام ١٣٣٩ هـ وبعد عامين أي عام ١٣٤١ هـ كانت جزءاً من إقليم ما وراء القوقاز ، ثم أصبحت جمهورية اتحادية عام ١٣٥٥ هـ وعاصمتها مدينة (باكو) التي فيها مركز المجلس الاسلامي لمناطق عبر القفقاس للنظر في القضايا الدينية للمسلمين في اذربيجان و أرمينيا و جورجيا ، وهو شكلي تماماً ، وتعد مدينة (باكو) خامس مدينة في الامبراطورية الروسية بعدد السكان حيث يسكنها ١٠٠٠٠٠ و ١٠٠٠٠ نسمة ، وفيها جامعة كبرى •

ويتبع جمهورية اذربيجان الاتحادية جمهورية (ناخيتشيفيان) ذات الحكم الذاتي ومقاطعة (قره باخ) ذات الحكم الذاتي أيضاً •

جمهورية ناخيتشيفيان

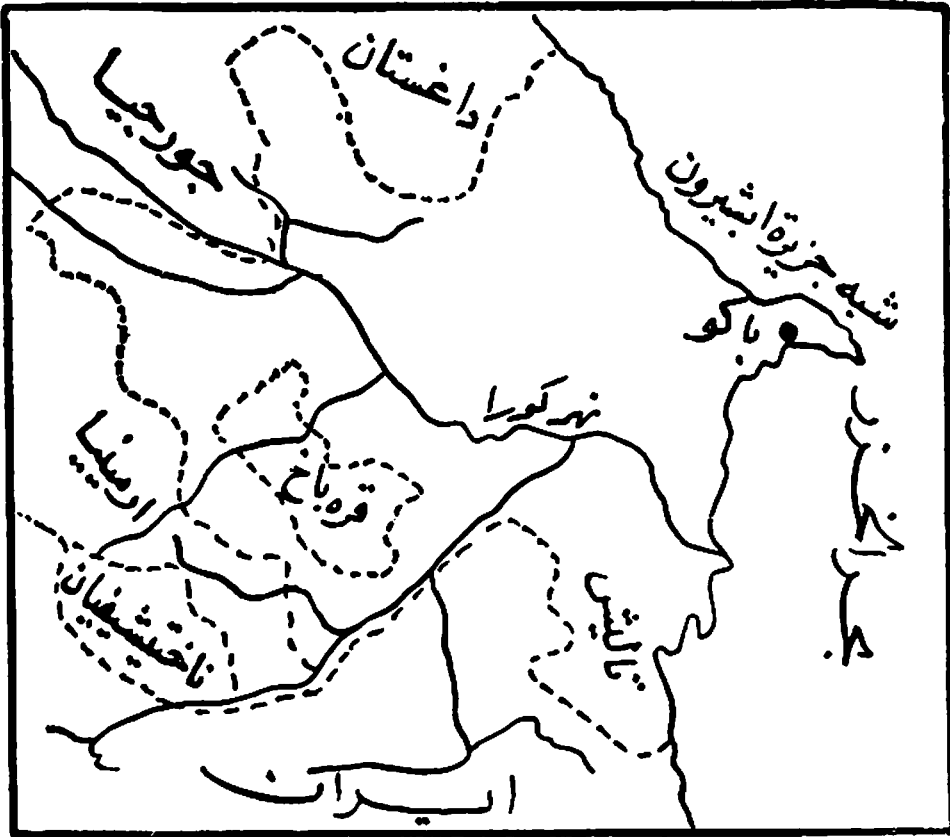
تبلغ مساحتها ٥٥٠٠ كم^٢ أي قدر مساحة لواء اسكندرون في سورية أو نصف مساحة لبنان ويقدر عدد سكانها بـ ١٧٠٠٠٠ نسمة وعاصمتها مدينة (ناخيتشيفيان) وتقع هذه الجمهورية على حدود تركيا وإيران ، وتكون جزءاً من جمهورية أذربيجان على الرغم من أن جمهورية أرمينيا تفصل بينهما ومعظم سكانها من الأذربيجانيين ويعيش ٧٠ في المائة من السكان على الزراعة وخاصة القطن والتبغ ثم العنب والفاكهة •

دخلها الروس عام ١٢٤٤ هـ وأصبحت جمهورية تتبع جمهورية أذربيجان عام ١٣٤٣ هـ •

مقاطعة قره باخ

وتبلغ مساحتها ٤٤٠٠ كم^٢ ويسكنها الأذربيجانيون والأرمن ، وعددهم ١٥٠٠٠٠ نسمة ، وعاصمتها مدينة (ستيا ناكيرت) ، وهي

وسط أذربيجان وتزرع القطن والقمح والعنب ، واستولى الروس على المنطقة عام ١٢٤٤ ، وأصبحت مقاطعة تتبع أذربيجان عام ١٣٣٢ هـ .



أرمينيا

تقع أرمينيا على حدود تركيا وإيران ، تبلغ مساحتها ٣٠.٠٠٠ كم^٢ أي ثلاثة أمثال مساحة لبنان ، ويبلغ عدد سكانها مليوني نسمة ، فيهم عدد من المسلمين لا تزيد نسبتهم على ١٢ في المائة من عدد السكان الكلي ، ويقدر عددهم بـ ٣٤٠.٠٠٠ مسلم ، وعاصمتها مدينة (أريفان) ، وأهم ثروتها المعدنية النحاس .

وتنحدر أكثر مياهها نحو نهر (أراكس) الذي يشكل الحدود بينها من جهة وبين تركيا وإيران من جهة ثانية ، وهي جمهورية اتحادية .

جُورْجِيَا

تشغل جورجيا مساحة قدرها ٧٠.٠٠٠ كم^٢ وتشمل السفوح الغربية لجبال القوقاز، فيضفي عليها ذلك الموقع اعتدالا في المناخ، إذ تقع ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط ، كما أن الجبال العالية تحول دون وصول الرياح الشمالية الباردة إليها، وأن ارتفاعها عن سطح البحر يجعلها مصيفا جميلا مليئا بالمناظر الخلابة، فالجبال مكسوة بالأشجار، والأودية مزروعة بمختلف الانواع بحيث لا ترى إلا الخضرة والمناظر الخلابة ، والسما الصافية والجداول الرقراقة ، والمنطقة هادئة والطبيعة ساكنة ولا يبدد سكونها إلا اصوات الطيور أو خرير الماء أو حفيف الشجر كما أن تعرضها لاشعة الشمس يجعلها ذات أهمية من حيث بناء دور النقاها وقضاء فصل الشتاء البارد في روسيا ولذلك أقيمت على سفوحها أكثر دور النقاها في الامبراطورية الروسية ، وأشهر ما شيد منها ماهو في مدينة « سخالتوبو » وأمطارها الشتوية غزيرة ، لذلك كانت الانهار كثيرة، وشديدة الانحدار، مما يجعلها عميقة ، والانهار إما أن تنساب نحو نهر (كورا) في القسم الشرقي أو نحو البحر الاسود عن طريق نهر (ريوني) الذي يصب عند مدينة (بوتني) .

ومناخ جورجيا يلائم زراعة الحبوب وخاصة الذرة ، كما تزرع المنطقة العنب والحمضيات والشونندر السكري وهذه المزروعات تجدها في أكثر أرجاء البلاد وتنتشر زراعة شجرة التوت لتربى عليها دودة الحرير، وقد بدأت جورجيا باتاج الشاي الذي يزرع على السفوح الجبلية ، وتنتج ٩٧ في المائة من الشاي في الامبراطورية الروسية ، ويقدر هذا الانتاج ١٥٧.٠٠٠ طن ، كما تزرع التبغ وهو من الاصناف الجديدة والانواع المشهورة .

وتنتشر المراعي الواسعة ، فتربى عليها قطعان الاغنام ، وتأتي جورجيا في طليعة الدول المنتجة للمنفيز وتحوي أراضيها أيضاً التوتياء والفحم والتنفستين ، وأهم صناعاتها الحديد وعربات السكك الحديدية والادوات الكهربائية والاسمنت وحلج القطن ، وعرفت صناعة السجاد فيها من القديم .

يسكن جورجيا اليوم ٥٠٠ر٥٠٠ر٤ نسمة وتبلغ نسبة المسلمين فيها ١٩ في المائة تقريباً أي مايقرب من ٨٣٥ر٠٠٠ نسمة .

أخذت روسيا على عاتقها حماية جورجيا عام ١١٩٨ هـ ثم اضطرت للخروج نتيجة حرب الداغستان ، ولكنها عادت ثانية إليها وهزم الداغستان بقيادة (عمر خان) ، وضمت روسيا جورجيا إليها نهائياً عام ١٢١٥ هـ . وجمهورية جورجيا جمهورية اتحادية عاصمتها مدينة (تفليس) التي تقع على نهر كورا ، وتتبعها جمهورية (ابخازيا) وجمهورية (آجاريا) ، ومقاطعة (اوستينا الجنوبية) .

ابخازيا

جمهورية ذات حكم ذاتي ، وتتبع جورجيا ، وتقع في شمالها الغربي على ساحل البحر الاسود عاصمتها مدينة (سوخوم) و (الابخاز) من العناصر الشركسية انفصلوا عنها بجبال القوقاز ، وأكثرهم من النصارى ، وعندما صدر المرسوم بالتسامح الديني عام ١٣٢٣ هـ دخل عدد منهم بالاسلام .

تبلغ مساحة ابخازيا ٨٠٠٠ كم^٢ أي أصغر من مساحة لبنان ، ويسكنها نصف مليون نسمة وقد قضت روسيا على حكومة (ايمارتي) التي كانت قائمة في المنطقة عام ١٢٢٥ هـ ، وتأسست منها جمهورية ذات استقلال ذاتي عام ١٣٤٩ هـ ، وارتبطت بجمهورية جورجيا الاتحادية .

أجـارـيا

وتقع على ساحل البحر الاسود أيضاً بين جورجيا وتركيا عاصمتها مدينة (باطوم) التي تعد المرفأ الأول في جورجيا وعن طريقها تتصل بالخارج وتصل إليها أنابيب النفط من مدينة (باكو) في أذربيجان ، وتبلغ مساحتها ٣٠٠٠ كم^٢ ، ويسكنها ٤٠٠ ألف نسمة .

ضمت روسيا إليها حكومة (غوريا) التي كانت قائمة في مدينة (باطوم) نتيجة مؤتمر برلين عام ١٢٩٥ هـ ، واعترفت بذلك الدولة العثمانية ، وتأسست للأجار جمهورية عام ١٣٤٠ هـ ، والمنطقة سهلية ، أنهارها قصيرة تتجه نحو البحر الاسود وأطولها الذي يصب جنوب مدينة (باطوم) .

أوستينا الجنوبية

مقاطعة ذات حكم ذاتي ، تبلغ مساحتها ٣٩٠٠ كم^٢ ، ويقع عليها ١٢٥ ألف نسمة ، وقد ضمت إلى روسيا نتيجة مؤتمر برلين عام ١٢٩٥ هـ ، وتأسست المقاطعة ١٣٤١ هـ .

تتبع هذه المقاطعة جورجيا بينما (أوستينا الشمالية) تتبع روسيا مباشرة وهي جمهورية ذات حكم ذاتي . والاسم القومي للأوستين هو (الآيرون) ، والشراسكية يسمونهم (قوشحة) ، بينما الكرج يطلقون عليهم اسم (توالتا) .

دَاغِسْتَان

وهي جمهورية ذات حكم ذاتي تتبع جمهورية روسيا ، وداغستان تعني بلاد الجبال باللغة التركية ، تبلغ مساحتها ٥٠ر٣٠٠ كم^٢ ، ويسكنها مليون ونصف نسمة ، وتقع بين جبال القوقاز وبحر الخزر ، وتشكل الجبال ثلاثة أرباع أراضيها ، وتنحدر الانهار من الجبال نحو البحر ، ولا تجري مسافة طويلة حتى تصب في البحر ، لذا كانت شديدة الانحدار ، وأطول نهر فيها نهر (ترك) الذي ترفده أنهار كثيرة ، ويمر في « غروزني » مركز بلاد الشاشان ، ثم نهر (صولاق) الذي يصب شمالي مدينة (محج قلعة) عاصمة الجمهورية ، وتصبح الأنهار أكثر قصراً في الجزء الجنوبي من البلاد حيث تقترب الجبال أكثر من البحر .

والبلاد ذات مناظر جميلة في جبالها التي تشرف على البحر ، وفي أوديتها السحيقة التي تدل على الرهبة بسبب شدة انحدار المياه الجارية ، ولاترك الجبال بينها وبين البحر إلا سهلاً ضيقاً ، يتسع بالاتجاه شمالاً ، ويعرض بدءاً من مدينة (محج قلعة) ، ولكنه ينفتح عند مصب نهر (صولاق) ، وتصبح البلاد كلها سهلية ابتداء من مصب نهر ترك .

تزرع داغستان القمح والذرة والبطاطا والخضروات والعنب وتربي الحيوانات وأهمها الأغنام . ويشكل النفط اليوم ثروة كبيرة ، ويستخرج من مكامن تحت المياه في بحر الخزر على بعد ١٠ كم من الشاطئ ، كما يوجد الغاز الطبيعي .

تصنع الزجاج والسجاد وخاصة في مدينة (دربنت) أو كما يسميها العرب المسلمون (باب الأبواب) ، وتوجد أحواض لإصلاح السفن ومعامل لتعبئة الأسماك واللحوم ، وتوجد محطتان كبيرتان لتوليد الكهرباء .

وسكان البلاد كلهم من المسلمين على اختلاف فبائلهم من (قوموق) و (آندي) و (داغستان) ولا يوجد من النصارى سوى المستعمرين الروس ، وقد اعتنق السكان الاسلام منذ عصر صدر الاسلام ، وحافظوا على عقيدتهم وهم الذين تزعموا البلاد للقتال ، وعندما أسر زعيمهم الشيخ شامل عام ١٢٨٠ هـ دخلت روسيا البلاد ، فهاجر السكان منها ، وفروا بدينهم ، كما أن الضغط الشديد قد أجبر آخرين على الهجرة ، وأجبر السكان على القيام بثورات أشهرها ثورة عام ١٣٢٣ هـ .

أعلنت روسيا عن قيام جمهورية (داغستان) عام ١٣٤٠ هـ، وجعلتها مرتبطة بها أي تتبع موسكو مباشرة .

شاشكان أنغوشيا

وهي جمهورية ذات استقلال ذاتي ، تقع في السفوح الشمانية لجبال القوقاز ، فتتدفق اليها المياه صخّابة جرّافة من الجبال ، وتشكل انهاراً كثيرة تلتقي كلها بنهر (ترك) الذي يعد أهم انهار قفقاسياً ، وتنقلب المنطقة الى جنات وارفة ملأى بالمزروعات كثيفة بالأشجار ، ومع هذا لا تعد بلاد الشاشان ذات شهرة واسعة بالزراعة اذا ما قيس بجانب الكميات النفطية المنبثة من أراضيها والمنبتة من حقول (غروزني) عاصمة الجمهورية .

لقد دخل الاسلام الى الشاشان والانغوش منذ مدة قصيرة لا تزيد على القرنين للدعوة التي اخترقت حواجز الروس التي أقاموها امام الإسلام ، وتمسك السكان بدينهم تمسكاً قوياً أزعج الروس مما جعلهم ينفون السكان جميعاً من مواطنهم ويطردونهم الى مجاهل سيبيريا ، ولكن ذلك لم يفت في عضد المسلمين ، واضطرت روسيا الى إعادة هذه الجمهورية عام ١٣٧٧ هـ ، ولكن جعلتها مرتبطة بها مباشرة .

تبلغ مساحتها ١٩٣٠٠ كم^٢ ، ويقيم على أراضيها ١٠٠٠٠٠٠ ، وكان الروس قد احتلوها عام ١٢٦٧ هـ ، ومنذ ذلك العام دخلتها أفواج من المستعمرين الروس ، واستقروا فيها .

أوستينيا الشمالية

الأوستين من العناصر الشركسية ، ويقطنون أعلى المرتفعات في جبل القوقاز ، وقد دان القسم الشمالي منهم بالإسلام بينما اعتنق جزء من القسم الجنوبي النصرانية ، ففصل الروس بين القسمين حتى لا يتأثر الجنوب بالشمال ، وكان الجنوب مقاطعة تتبع جورجيا بينما كان الشمال جمهورية ترتبط بروسيا ، ونتيجة موقع بلادهم فهم أشداء ، وجنود بالفطرة ، وبسبب فقر بلادهم فقد انخرطوا في صفوف الجيش الروسي بخلاف جيرانهم الذي يكرهون الخدمة في ذلك الجيش ، ومن أوستينيا الشمالية تنبع أكثر روافد نهر (ترك) .

تبلغ مساحة هذه الجمهورية ٨٠٠٠ كم^٢ ، ويبلغ تعداد سكانها ٦٠٠٠٠٠ نسمة ، وعاصمتها مدينة « اردجونيكيرزي » . وقد احتل الروس هذه المنطقة عام ١١٩٩ هـ ، وأسس الشيوعيون لهم جمهورية عام ١٣٥٥ هـ .

قَابَرْدِيَا - بَلْكَارْدِيَا

يطلق على السكان اسم (قبرطاي) وهم من العناصر الشركسية ويسكنون غرب (القوشحة) في المناطق المرتفعة من جبال القوقاز ويشتهرون بتربية الخيل ، ويعتقون الإسلام جميعاً ومع ذلك فهم أصحاب عصبية ، ويحافظون على عاداتهم وتقاليدهم ومن الصعب تغيير تلك العادات ، وقد جرت محاولة على يد المصلح (إسلام بك) ولكنه عجز ، ومن جمهورية قابرديا تنبع بعض روافد نهر (ترك) ، وتبلغ مساحة هذه الجمهورية ١٢٥٠٠ كم^٢ ويسكنها ٦٢٥ ألف نسمة ، وأنشئت هذه الجمهورية عام ١٣٥٥ هـ ، وعاصمتها مدينة (نلتشيك) .

ويختلف (القابرد) عن (البلكار) حيث يتكلم الآخرون لغة من أصل تركي بينما يتكلم الأوائل لغة خاصة لا تمت بصلة الى التركية .

كراتشاي - الشركسية

وهي مقاطعة ذات حكم ذاتي ، تبلغ مساحتها ١٤١٠٠ كم^٢ ، ويسكنها ما يقرب من ٤٠٠ ألف نسمة ، وتتبع إقليم (ستافروبول) وعلى الرغم من أنها تحمل اسماً شركسياً إلا أن سكانها ليسوا من العناصر الشركسية وإنما هم من التتار ، وتدل على ذلك صفاتهم ، كما أنهم يتكلمون لغة خاصة بهم أقرب الى اللغة التركية ، تؤكد ذلك الاصل ، وجميع السكان يدينون بالإسلام وعاصمتهم « شركسك » وهم يجاورون الابخاز من الجنوب والحدود بينهما هي ذرا القوقاز ، وخط توزيع المياه حيث تنحدر المياه في الجنوب نحو أنهار (ابخازيا) بينما تنحدر في الشمال نحو نهر (كوبان) وروافده . أما حدودها مع (الأديغة) و (القبرطاي) فهي تسير خط انتشار المجموعات البشرية ، وأما من ناحية الشمال فصلتها باقليم (ستافروبول) .

خضعت هذه البلاد للروس اثر مؤتمر برلين عام ١٢٩٥ هـ ، وتأسست هذه المقاطعة عام ١٣٧٧ هـ .

الأديغة

وهي مقاطعة ذات حكم ذاتي ، وتتبع اقليم « كراسنودار » ويعرف باسم عاصمته (كراسنودار) التي تقع على الجهة اليمنى من نهر كوبان الأدنى ، وتشرف هذه البلاد على البحر الاسود من ناحية الغرب ، وتجري فيها مياه نهر (كوبان) وروافده ، وتميل الأراضي بشكل عام نحو الشمال الغربي .

يتألف سكان هذه المقاطعة من عدة قبائل أشهرها الازاخ ر (البزادوغ) و (الشابسينغ) و (الحاتوقواي) وجميعها تدين بالاسلام وعاصمتها مدينة (مايكوب) الشهيرة في صناعتها وثروتها النفطية ومن أهم مرافئها مدينة (سوفي) ومدينة (أنابا) .
تبلغ مساحة هذه المقاطعة ٧٦٠٠ كم^٢ ويسكنها ٤٠٠ ألف نسمة ، وقد سيطر عليها الروس بعد عام ١٢٩٥ هـ ، وتأسست مقاطعتهم عام ١٣٤١ هـ .

الباب الثالث

المسلمون في البلقان

مقدمة :

يتوزع المسلمون في جنوب شرقي أوروبا في شبه جزيرة البلقان في عدة دول ، وان كان انتشارهم قد تم في وقت واحد تقريباً في تلك البقعة من الأرض إلا أنه ترسخ في بعض الجهات ، وأقمرت جهات ثانية منهم لأسباب كثيرة .

واذا كان الإسلام قد انتشر في مناطق كثيرة من أوروبا الجنوبية سواء في جنوبي فرنسا أم ايطالية ، وتوغل المسلمون في مناطق داخلية حتى وصلوا الى بلاد سويسرا ، وكانوا قد احتلوا جزر البحر الايض المتوسط جميعها إلا أن الإسلام في شبه جزيرة البلقان قد تأخر في التقدم فيها وذلك لأن الطرق المؤدية الى هذه المنطقة لم تفتح فقد استعصت القسطنطينية على الفاتحين لموقعها ومناعتها ، وان ابتدأت الغزوات تطرق أبوابها منذ عام ٥٠٥ هـ ، إلا أنه في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري بدأ الاسلام يتقدم في البلقان على شكل موجة واسعة بفضل العثمانيين الذين دخلوا أوروبا عن غير الطريق التي حاول الفاتحون أن يسلكوها من قبلهم ، لقد جهد المسلمون الأوائل أن يحتلوا القسطنطينية ثم ينطلقوا إلى أوروبا عن طريقها أي أن مشروع فتح أوروبا كان يهدف طريق مضيق

(البوسفور) فعندما صمدت المدينة في وجه الفاتحين تعذر التقدم وتوقف الانتشار ، وعندما جاء العثمانيون تجاوزوا مدينة القسطنطينية ودخلوا أوروبا عن طريق مضيق (الدردنيل) وكانت مدينة (غاليبولي) أول مدينة في أوروبا فتحها العثمانيون عام ٧٥٨هـ - ١٣٥٤م ، واستولى مراد الأول على مدينة (أدرنة) عام ٧٦٣هـ - ١٣٥٩م ، واتخذها عاصمة له وبذلك أصبحت الدولة العثمانية أوروبية العاصمة، كما أخضع هذا السلطان منطقة (الروميلي) وفتح مدينة (صوفيا) عاصمة البلغار ومعظم بلادهم ، ثم تابع ابنه (بايزيد) ذلك الفتح فاستولى على الجزء الشمالي من بلغاريا والأفلاق واقترب من المجر . ولقد أثار هذا الفتح أوروبا ولكنها لم تستطع أن تقف في وجهه ، وكان التار يتقدمون من الشرق بقيادة (تيمورلنك) فاستحثه الأوروبيون على قتال العثمانيين وكتب له ملك فرنسا رسالة أخرى يشجعه فيها على ذلك القتال وكذلك الأمراء الذين لجأوا إليه وبعض الجنود الذين فروا إليه من الإمارات التي احتلها العثمانيون في آسيا الوسطى ، والتي كانت متناثرة في تلك الأرض، وقامت الحرب بين الطرفين ، وهزم العثمانيون ، ووقع سلطانهم (بايزيد) وابنه (موسى) أسيرين بيد تيمورلنك عام ٨٠٤هـ - ١٤٠٢م كما قتل ابنه الآخر (مصطفى) في المعركة ، وعادت (بلغاريا) و (صربيا) و (الأفلاق) و (المورة) خارجة عن سيادة العثمانيين ونشبت فتنة بين العثمانيين استمرت عشر سنوات تنازع فيها أبناء (بايزيد) على الحكم حتى استطاع أصغرهم وهو محمد أن يتفرد بالحكم وقد استطاع أن يعيد بناء الدولة ويهادن امبراطور القسطنطينية .

ثم تولى أمر العثمانيين (مراد الثاني) الذي فتح (سالونيك) و (ألبانيا) عام ٨٣٣هـ - ١٤٣٠م ، وجاء (محمد الثاني) الذي كتب له فتح مدينة القسطنطينية ثم فتح (صربيا) و (البوسنة) و (والهرسك)

• (أثينا) و (المورة) وبعض الجزر اليونانية ، وجعل الأورييون حروبهم بعد فتح القسطنطينية ضد المسلمين كافة وأثاروها حرباً صليبية عامة بعد أن كانت ضد العثمانيين خاصة •

دخل العثمانيون البلقان ووجدوا أمامهم بعض المسلمين الذين انقطعوا عن الاسلام منذ مدة طويلة تزيد على خمسة قرون هؤلاء المسلمون هم (البشاققة) الذين هم شعب تركي قطنوا منطقة (الفولغا) ووصلوا الى (ترانسلفانيا) جنوب شرق (المجر) ، وقد أسلم جزء منهم في موطنهم الأصلي في (الفولغا) وانفصلت جماعة منهم وسكنت (المجر) ، وكذلك قبائل (الكومان) الذين حلوا محل (البشاققة) في (ترانسلفانيا) وكان جزء منهم يعتنق الاسلام ، وقد كان (البشاققة) و (الكومان) على صلة بطائفة (البوجوميل) التي تعيش في ألبانيا وبعض مرتفعات الألب الدينارية في المنطقة التي تسمى اليوم (البوسنة) •

و (البوجوميل) طائفة نصرانية خاصة عاشت في المرتفعات ، واحتفظت ببعض العقائد الخاصة بها والتي تمت بصلة الى النصرانية الأولى ، وقد كانت هذه الطائفة موضع اضطهاد من قبل النصارى الآخرين سواء الكاثوليك منهم أم الأرثوذكس وبسبب هذا الاضطهاد وهذه الصلة بالأصول النصرانية فقد اعتنقت هذه الطائفة الاسلام وأقبلت عليه •

واتجه العثمانيون أيام السلطان سليم الأول الى الشرق فدخلوا دولة الصفويين ، وضموا اليهم بعض البلاد العربية ، وبلغت دولتهم أوج قوتها أيام السلطان سليمان القانوني الذي حارب في أوروبا ، وفتح كثيراً من المناطق حتى وصل الى (فيينا) وحاصرها وفي الوقت نفسه كانت جيوشه في الشرق تضم للدولة أجزاء واسعة من البلاد الإسلامية •

وإذا كان العثمانيون قد أعادوا حصار (فيينا) ثانية أيام السلطان محمد الرابع عام ١٠٩٥ هـ - ١٦٨٣ م إلا أن موقعهم كان ضعيفاً في

أوروبا ، إذ لم يلبثوا أن بدأوا بالانسحاب منها منطقة بعد أخرى حتى لم يبق لهم في النصف الثاني من القرن الرابع عشر سوى رقعة بسيطة تشمل (ادرنة) وما حولها وتعرف باسم (تراقيا) ولا تزيد مساحتها على ٣٤ ألف كيلو متر مربع .

لقد كان العثمانيون قوماً أشداء في بداية أمرهم لا تزال تغلب عليهم الطبيعة البدوية التي لم تؤثر فيها رفاة المدينة التي تجعل أصحابها يخلدون الى الراحة والهدوء وهذا ما جعل الروح العسكرية قوية عندهم . وكانت صفة الجهل لم تزال تلازمهم لقرب نشأتهم من بيئتها ، وثقافتهم الدينية ضعيفة واذا استطاع العثمانيون في هذه المدة أن يقوموا بفتوحاتهم الواسعة إلا أنهم لم يلتفتوا فيها الى الدعوة الى الإسلام مما جعل انتشاره ضعيفاً إضافة الى القتال المستمر وعدم إخضاعهم منطقة بشكل دائم بل كانت الرقعة الواحدة بين أخذ ورد تبعاً لأوضاع الدولة الداخلية وقوة الخارجين عليها . وإن ضريبة الرأس وضريبة الأبناء وتطبيقاتهما وما يقع فيهما من رشوة وتحايل على القانون قد هزّت الناس من هذا الحكم بل انه كثيراً ما اكتفى العثمانيون من الذين يدخلون في الإسلام بنطق الشهادة بل إن الحماسة الدينية العثمانية كثيراً ما جعلتهم يحتفلون بمراسم الذين يدخلون في الإسلام احتفالات واسعة وينفقون الاموال الكثيرة بسخاء في سبيل ذلك ، كل هذا قد قلل من شأن انتشار الاسلام ، وكان دخول بعض الجماعات ظاهرياً في سبيل الحصول على بعض المنافع إضافة الى التسامح الديني العثماني الذي جعل الكثيرين من النصاري يرون من الفائدة لهم البقاء على دينهم لا العكس . وشجع هذا التسامح الديني في مجيء عدد من أصحاب الديانات الاخرى الى المنطقة كاليهود الذي اضطهدوا في الاندلس بعد خروج المسلمين منها فاتجهوا الى الدولة العثمانية ، وخاصة مناطق البلقان ، وكان لهم دور كبير في القضاء على الدولة

التي قبلتهم في أراضيها •

وفي أواخر عهد الدولة العثمانية ضعف أمرها ووهنت قوتها فرأت من المصلحة أن ينتشر الاسلام ليكون أهله عوناً لها فأرسلت الدعاة ولكن أثرهم كان محدوداً لضعف أمر الدولة حيث لا يقبل الناس على عقيدة جديدة ليس لأهلها قوة تجعل في أبنائها العزة والاستعلاء •

كل هذه الأمور جعلت حظ الإسلام قليلاً في هذه المناطق ، التي دانت لحكمه عدة قرون على خلاف كل بقاع الأرض التي خضعت للإسلام ولو لمدة قصيرة ، اذن كان انتشار الاسلام ضئيلاً سواء أيام قوة الدولة وسيطرتها أم اثناء ضعفها وتراجعها وبعد انسحاب العثمانيين بقيت مجموعات اسلامية في مناطق متعددة وتعود هذه المجموعات اما الى قبائل (البشانقة) الذين كان بعضهم يعتنق الاسلام ، أو الى (البوجوميل) الذين اعتنقوا الإسلام لأوضاعهم الخاصة ، أو الى العثمانيين الذين استقروا في تلك الأرجاء واحتفظوا بطبيعة الحال بدينهم الإسلامي ، ولا شك فان جماعات هناك من أهل البلاد قد دخلوا في الاسلام لأسباب كثيرة منها الدعوة والاستفادة من الحاكم والتخلص من بعض الضرائب كما اننا لا ننسى أصحاب العقول السليمة والأفكار لنيرة الذين وجدوا في الإسلام ما يتفق مع الفطرة البشرية فدانوا به واحتفظوا به بعد خروج العثمانيين ويجب ألا نفعل التسامح الذي أبداه السلاطين أمثال محمد الفاتح رحمه الله ومقارنته بالاضطهاد الذي عاشته المنطقة بين كاثوليك وارثوذكس وأكبر المجموعات الإسلامية هي في يوغسلافيا وبلغاريا والباينا ، وعلى الرغم من كل ما قيل في اسلام السكان الاصليين ، فان نسبة ١٥ في المائة من السكان مسلمون وهي تعد نسبة ضئيلة بالنسبة الى بقية المناطق الأخرى التي دخلها المسلمون ولو لمدة قصيرة •

الفضل الأول

ألبانيا

ألبانيا دولة صغيرة في جنوب شرقي أوروبا، وفي شبه جزيرة البلقان، بين يوغسلافيا التي تحيط بها من الشمال والشرق واليونان التي تحدها من الجنوب والجنوب الشرقي ، بينما من جهة الغرب لها واجهة بحرية تشرف على بحر (الادرياتيک) ، ولا تزيد مساحتها على ٢٨٧٤٨ كيلو متر مربع ، كما لا يزيد سكانها على مليوني نسمة ، وهي أرض جبلية يزيد ارتفاع أكثر من ٧٠ بالمائة منها على ٣٠٠ م ، وتتألف من عدد من السلاسل الجبلية التي هي جزء من جبال الألب الدينارية ، وتمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي على شكل سلاسل تفصل بينها الاودية ، ويكون معدل ارتفاعها ١٠٠٠ م ، ويصل ارتفاع جبل (كوريب) الى ٣٠٢١ م وهو أعلى جبل فيها ، هذه التضاريس هي التي جعلت ألبانيا موطناً لعدد من القبائل تعيش كل منها في عزلة عن الاخرى ، وأدى ذلك الى صعوبة المواصلات بين أجزاء البلاد ، وتكثر المستنقعات في الساحل مما يعوق وجود الموانئ الطبيعية ، وخاصة في اجزاء الساحل الشمالية وإن الجبال قد تصل الى الساحل مباشرة كالجزم الواقع جنوبي مدينة فلورا (فالونا) . وتقل الفتحات بين الساحل والداخل إذ أن الأنهار تجري في الأودية موازية للسلاسل الجبلية حتى تجد لها مخرجاً نحو البحر وكلها يجري من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي ثم تنعطف نحو البحر وأهم هذه الانهار (درين الأسود) ، (درين الأبيض) ،

(شكومي) ، (ديقول) ، (فيجوس) ، كما أن المياه تملأ بعض المناطق المنخفضة بين الأودية مشكلة بحيرات واسعة أهمها (شكودري) في الشمال حيث تخترق الحدود بين يوغسلافية وألبانية وكذا (أوهريد) في الشرق و (برسبا) وتشترك فيها الدول الثلاث البانية واليونان ويوغسلافية .

ومناخ ألبانيا جزء من مناخ البحر الأبيض المتوسط حار جاف في الصيف ومعتدل مطير في الشتاء، ويبقى أثر البحر على الساحل لا يتجاوزه كثيراً حيث تقف المرتفعات في وجه الرياح البحرية الرطبة من أن تلج إلى الداخل ، وبينما يكسو الثلج المرتفعات يندر في الأودية وتهب رياح باردة نحو البحر تعرف باسم رياح (البورا) تلي المنخفضات الجوية وتعدّ تسمة للرياح الشمالية الشرقية .

وتنمو على السفوح الغابة المتوسطة وتمد البلاد بشروة خشبية جيدة .

وينتمي الألبانيون إلى العناصر (الآليرية) أقدم المجموعات التي سكنت جنوب شرقي أوروبا ، وتشبه بصفاتها الجسمية السلاف الجنوبيين من حيث القامة الطويلة والرأس المستدير والأفئ المقوس ، والشعر الأسود ، والسكان مجموعتان :

غيجاريا : ويعرف من ينتمي إليها باسم الفج .
توسكاريا : ويسمى أتباعها التوسك .

وفصل بين المجموعتين تقريباً مجرى نهر (شكومي) ، وتقسم كل مجموعة إلى عدد من القبائل كما توجد عناصر أخرى من المصرب والرومانين واليونانيين والأتراك والبلغار إضافة إلى عدد قليل من العجر واليهود .

وبقي سكان الجبال منزلين لم يختلطوا بغيره ، ويتم الزواج في

القبيلة عادة من خارجها ، وبينما يطلق الألبانيون على أنفسهم اسم (سكيتبار) يسميهم الأتراك (الارناؤوط) .

أما بالنسبة الى الدين فيتوزعون على الشكل التالي :

مسلمون	٧٣ في المائة وهم جميعاً من أهل السنة وهم
الفج والتوسك وعددهم	١٤٦٠٠٠٠ ر
نصارى (ارثوذكس) ١٧ في المائة وعددهم	٣٤٠٠٠٠ ر
نصارى كاثوليك ١٠ في المائة وعددهم	٢٠٠٠٠٠ ر
المجموع	١٠٠ في المائة
	٢٠٠٠٠٠٠ ر

البانيا دولة زراعية على الرغم من أن الأرض الزراعية لا تعادل الا ١٥ بالمائة من مساحة البلاد ، ولكن ٩٠ في المائة من الأيدي العاملة تعمل في الزراعة ، ونصف المساحات المزروعة مخصصة للقمح والذرة والتبغ ونزرع من الأصناف الاخرى العنب والزيتون والرز والقطن والشمندر وتقدر الكمية المنتجة من أهم هذه الأنواع كما يلي :

الذرة	١٦٤٠٠٠٠ طن	القطن	١٢٠٠٠ طن
القمح	١٣٠٠٠ طن	الرز	٧٥٠٠ طن
الشمندر السكري	٧٧٠٠٠ طن	التبغ	٦١٠٠ طن

ويزرع الرز حول (تيرانا) و (البازان) وفلورا (فالونا) .

وتغطي الحشائش ٣٠ في المائة من المساحة انعامية ، وتربى عليها الأغنام والماعز والأبقار وغيرها ويبلغ عدد قطيعها من الأغنام ١٦٠٠٠٠٠ رأس ، ومن الماعز ١٣٠٠٠٠٠ رأس .

وينتقل الرعاة بين الأودية شتاء والمرتفعات صيفاً .

ويوجد في البانيا من مصادر الطاقة النفط في منطقة (كسوفي) بالقرب من مدينة (بيرات) ، وقد أقيم معمل للتكرير في (سييرك) كما مدت

أنايب للنفط من (كسوفي) الى ميناء (فلورا) (فالونا) كما يوجد الفحم في (سليس) .

أما من الثروة المعدنية فيوجد النحاس في (بوكي) ، والملح في (فلورا) ثم هناك الحديد والكروم وتنتج البانيا من :

النحاس	٢٣٠ر٠٠٠ طن	الحديد	١٠٦ر٠٠٠ طن
الفحم	٢٩١ر٠٠٠ طن	الكروم	٢٣٠ر٠٠٠ طن
النفط	٨٠٠ر٠٠٠ طن		

وأهم الصناعات هي عصر الزيتون حيث تنتج ٤٥٠٠ طن من الزيت ، والمنسوجات القطنية والصوفية والسكر ، وأهم الموانئ (دورازو) وتتصل بخط حديدي مع (تيرانا) وبآخر مع مدينة (البازان) ثم ميناء (فلورا) وهو أقل أهمية من الأول ، والمواصلات صعبة وهذا ما يعطل قلة الخطوط الحديدية وكذلك البرية الاخرى .

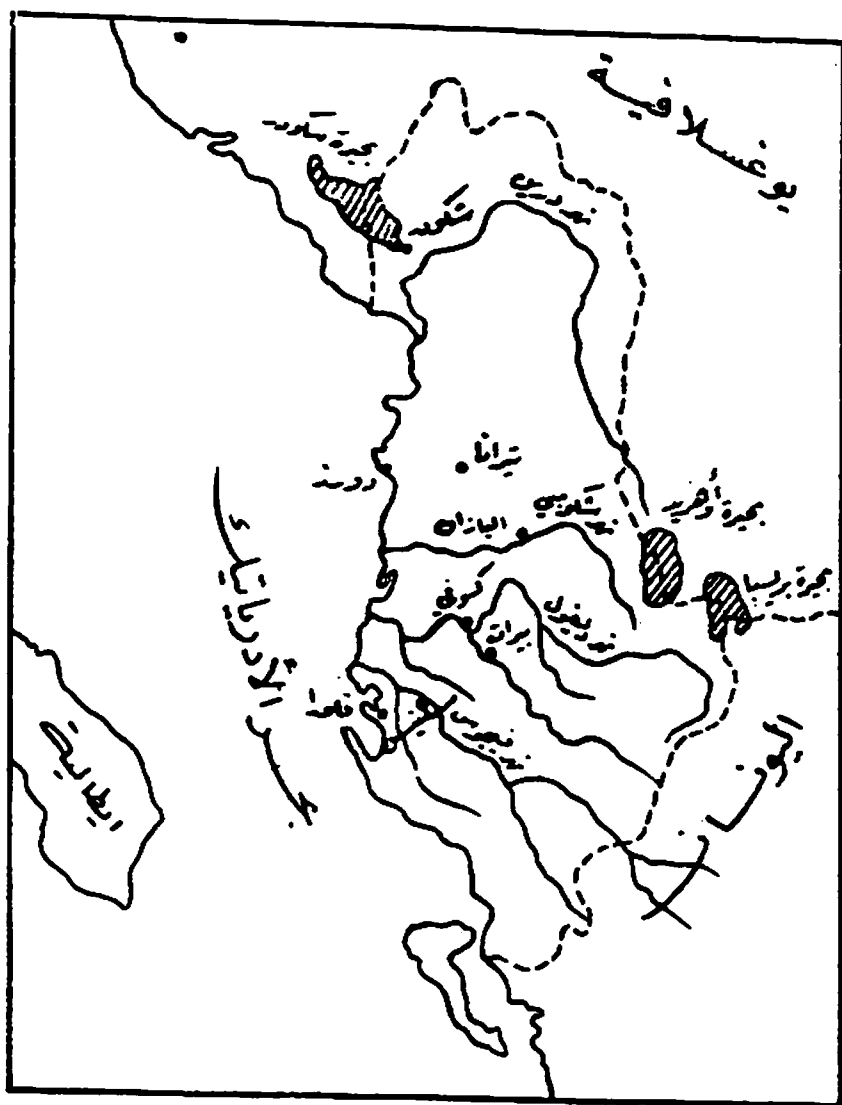
عندما جاءت الموجات تغزو الألبانيين في بلادهم سواء من الشرق أم من الشمال انزلوا في الجبال ، ولم يختلطوا بغيرهم واحتفظوا باستقلالهم وان خضعوا للدولة الرومانية الا ان سيادتهم قد عادت اليهم بعد سقوط روما عام ٤٧٦ م . وغزا السلطان العثماني مراد الأول بلادهم عام ٧٨٩ هـ ، ولكن عاد فانسحب منها بسرعة ، واعترف الألبانيون بنفوذ العثمانيين أول مرة عام ٨٢٧ هـ ، ثم عادوا فانتفضوا عليهم ، وأخيراً هزموا أمامهم عام ٨٨٢ هـ ، ولم تحدث في البلاد بعدها مقاومة منظمة وان بقيت الموانئ بعيدة عن سلطة العثمانيين مدة أطول حيث فتحت مدينة (دورازو) عام ٩٠٧ هـ ، وقاومت مدينة (أتنفياري) حتى عام ٩٧٦ هـ .

أعلن استقلال البانيا عام ١٣٣١ هـ في مدينة فالونا (فلورا) ، وقرر

مؤتمر لندن تحديد حدود ألبانيا وعين الأمير (ولهم) الألماني حاكماً لها ، ولكن وقعت اضطرابات عام ١٣٣٣ هـ فاتفقت الدول الكبرى سراً على تقسيمها ، أما إيطاليا فقد أعلنت استقلال ألبانيا من جانب واحد وذلك عام ١٣٣٦ هـ وأعلنت الجمهورية وانتخب (أحمد زوجو) رئيساً لها ثم أعلن نفسه ملكاً عام ١٣٤٧ هـ وكان ملكاً سيئاً حاول تغيير العادات مسيطرة للدول الأوروبية ففرض السفور على نساء وطنه مما اضطر عدداً من المواطنين الى مغادرة البلاد والاتجاه نحو بقية البلاد الاسلامية .

وفي عام ١٣٥٨ هـ احتلت إيطاليا ألبانيا وفر (أحمد زوجو) الى انكلترا واعترفت الدول الكبرى بقيام حكومة انتقالية برئاسة الجنرال (أنور خوجة) ، وتم عزل (أحمد زوجو) بعد نهاية الحرب وجرت الانتخابات وفاز بها الشيوعيون الذين أعلنوا الجمهورية في ١١ كانون الثاني عام ١٩٤٦ للميلاد ثم دخلت ألبانيا هيئة الأمم المتحدة عام ١٣٧٥ هـ ثم قطعت العلاقات بينها وبين روسيا عام ١٣٨١ هـ نتيجة خلافات عقيدية إذ كانت ألبانيا فيها بجانب الصين .





الفضل الثاني

المسلمون في يوغوسلافية

تبلغ مساحة يوغوسلافية اليوم ٢٥٥ر٨٠٤ كيلو متر مربع ، وتشمل جزءاً واسعاً من شبه جزيرة البلقان وتشرف من الغرب على بحر الادرياتيك ويحدها من الشمال الغربي ايطاليا والنمسا، ويجاورها من الشمال المجر ، ومن الشمال الشرقي رومانية ، وتشترك في الحدود أيضاً مع كل من بلغاريا واليونان وألبانيا .

يتألف سطحها من منطقة جبلية في الغرب والجنوب هي جبال الألب الدينارية التي يزيد ارتفاعها على ٣٠٠٠ م وهي على شكل سلاسل تتجه من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي تفصل بينها أودية وهذه المرتفعات وعرة وذات حفر كثيرة نتيجة الحت الكارستي ، أما في الشمال فيمتد سهل (بانون) الواسع الخصب الذي يجري فيه نهر (الدانوب) ، كما يرفده في هذا السهل نهر (الدرافا) و (السافا) من ناحية الغرب ، كما يرفده نهر (مورافيا) من الجنوب .

وهي جمهورية اتحادية تتألف من ست جمهوريات هي :

١ - صربيا : وهي أكبر الجمهوريات عاصمتها بلغراد العاصمة الاتحادية الواقعة على نهر (الدانوب) عند التقائه بنهر (السافا) .

ويسكنها ما يقرب ٩٠٠٠٠٠٠ نسمة وتضم اقليمين ذوي استقلال ذاتي هما (فويفودينا) في الشمال و (كوسوفو) في الجنوب وسكانها من الصرب .
٢ - سلوفينيا : في أقصى الشمال الغربي ويقطنها (السلوفين) الذين يبلغ تعدادهم ١٦٥٠٠٠٠ نسمة ، وعاصمتها مدينة (لوبليانا) .
٣ - كرواتيا : ويسكنها ٥٠٠٠٠٠٠ نسمة ، وهم من الكروات وعاصمتها مدينة (زغرب) ويرونها نهر (السافا) ، كما تضم منطقة على طول الساحل الغربي .

٤ - البوسنة والهرسك : وتضم (البشانقة) بشكل رئيسي ثم الكروات والصرب وعاصمتها (سراييفو) . وهي منطقة جبلية بالدرجة الاولى ، ويبلغ عدد سكانها ٤٢٥٠٠٠٠ نسمة .
٥ - مقدونيا : ويسكنها ١٧٠٠٠٠٠ معظمهم من المقدونيين ، وعاصمتها مدينة (سكوبيا) .

٦ - الجبل الاسود : وتقع على حدود ألبانيا ، وعاصمتها مدينة (تيتو غراد) ويسكنها ٦٠٠٠٠٠ فهي أصغر هذه الجمهوريات وكانت مركزاً للمقاومة ضد الاتراك ، ويقع فيها عدد من الالبانيين .

ويوغسلافية بلاد زراعية إذ أن ٥٨ في المائة من أراضيها تشل مساحات زراعية وأهم هذه الزراعات :

القمح ٣٥٠٠٠٠٠ طن

الذرة وتنتج ٦١٠٠٠٠٠ طن

ثم الشوندر السكري وغيره من الزراعات المهمة .

كما أن ٣٥ في المائة من المساحة العامة للبلاد تغطيها الغابات والمراعي ، وما بقي وهو ٧ في المائة أراض غير مستغلة .

كذلك تضم أراضي يوغسلافية ثروة معدنية جيدة حيث تنتج ١٣٠٠٠٠٠ طن من الفحم ، وتحوي أراضي البوسنة مناجم الحديد



التي تعطي كميات جيدة ، ويوجد النحاس إلى الجنوب الشرقي من بلغراد ، وتنتج منه البلاد ٧٦ ألف طن ، وتأتي في طليعة الدول الأوربية في إنتاج هذه المادة .

كانت قبائل (إليرييه) تسكن الأراضي التي تكون اليوم يوغسلافية إضافة إلى بعض جماعات من الكلتيين والغوط والهون ثم احتل الرومان المنطقة ودامت سيطرتهم عليها أربعة قرون وفي القرن الثاني للميلاد بدأت النصرانية تنتشر في هذه الرقعة من الأرض من روما ، وعندما انقسمت الامبراطورية الرومانية على نفسها عام ٣٩٥ م أخذت النصرانية تصل إلى هذه البقعة من القسطنطينية .

كانت القبائل السلافية تنتقل في المناطق الواقعة بين نهري (الفستولا) و (الدينير) شمال شرقي جبال (الكريات) ثم جاءها الغزاة ففرقت

هذه القبائل على شكل مجموعات اتجهت إحداهما نحو الجنوب وعرفت باسم السلاف الجنوبيين وقطنت أرض يوغسلافية بل إن كلمة يوغسلافية تعني أرض السلاف الجنوبيين هؤلاء السلاف قد ضغطوا على الأقوام السابقين فأقاموا مكانهم بينما اتجهت الأقوام السابقة نحو الجنوب الغربي واستقرت في المرتفعات وخاصة منطقة ألبانيا اليوم .

كانت القبائل السلافية مجموعات عديدة أهمها السلوفين والكروات والصرب واعتنق الصرب المذهب الارثوذكسي بينما اعتنق السلوفين والكروات المذهب الكاثوليكي على حين بقيت الأقوام السابقة على عقيدتها النصرانية النسابقة لم تتخذ لها مذهباً لا الكاثوليكي ولا الارثوذكسي وقام الصراع بين أتباع المذاهبين وكل يحاول كسب الأقوام السابقة الى مذهبه وهذا ما كان يزيدهما تمسكاً بموقفهما واصراراً على عقيدتهما وفي أواخر القرن الرابع الهجري وصل (البشاققة) إلى المنطقة قادمين من منطقة (الفولغا) يحملون معهم عقيدة الإسلام حيث اعتنقته بعض مجموعاتهم هناك وان لم تكن تعاليمه قد رسخت تماماً في نفوسهم ، وأقاموا في منطقتهم الجبلية (منطقة البوسنة والهرسك اليوم) ، واتصلوا بالأقوام القديمة فزادوا في بعدهم عن هذه المذاهب النصرانية وتمسكهم بكره تزيين الكنائس والتعميد وعبادة الصليب وتآليه المسيح والنزاع بين المادة والروح .

كونت منطقة (البشناق) دولة خاصة وظلت منطقة نزاع بين دولتي الكروات الكاثوليكية في الشمال والصرب الارثوذكسية في الشرق، وفي أوائل القرن السادس الهجري غزت المجر منطقة (البشناق) ولكن السيطرة لم تطل حيث عادت دولة (البشاققة) من جديد حتى غزاها العثمانيون في القرن التاسع الهجري والمجموعات التي اعتنقت النصرانية من (البشناق) لم تتبع أحد المذاهبين كالأقوام السابقة وكونت كنيسة خاصة بها عرفت

باسم الكنيسة البشناقية وكانت متأثرة إلى حد كبير بدين إخوانهم من البشناق الذين كانوا يدينون بالإسلام منذ قدومهم من موطنهم الأصلي في بلاد القولغا وقد اضطهد الرومان أتباع هذه الكنيسة اضطهادا كبيرا، وفي القرن التاسع الهجري أصبحت آلامهم لا تحتمل حتى أنهم استعانوا بالأتراك المسلمين الذين لا يعرفون أمثال هذا العذاب لتخليصهم مما هم فيه من البؤس والشقاء وهرب منهم ما يقرب من أربعين ألفاً من البوسنة ، وسكنوا في البلاد المجاورة أما الذين لم يوفقوا في الهرب فقد أرسلوا إلى روما مكبلين في الاصفاد ، ولكن هذه التدابير على شدتها لم تفت من ساعد البشناق ، وفي عام ٨٦٨ هـ عندما غزا محمد الفاتح البوسنة وجد حاكمها الكاثوليكي أن رعاياه قد تخلفوا عنه وسلم البشناق الحصون والمدن إلى العثمانيين وخلال اسبوع واحد انتقلت سبعون مدينة إلى السلطان وأضاف محمد الفاتح البوسنة إلى قائمة فتوحاته الكثيرة ومنذ ذلك الوقت دخل البشناق في الإسلام .

والبشناق الذين اعتنقوا الاسلام قيد الغزو العثماني تنتمي اليهم تلك المجموعة الإسلامية التي عاشت في المجر (هنغاريا) ويورد ياقوت الحموي وصفاً لاجتماعه بأحد أفراد هذه المجموعة عام ٦٢٦ هـ ، يقول : وجدت بمدينة حلب طائفة كثيرة يقال لهم الباشغردية (الباشكير) شقر الشعور والوجوه جداً يتفقهون على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه فسألت رجلاً منهم استعقلته عن بلادهم وحالهم ، فقال : أما بلادنا فمن وراء القسطنطينية في مملكة أمة من الافرنج يقال لهم الهنكر (الهنغاريون - المجريون) ونحن مسلمون رعية للملك في طرف بلاده نحو ثلاثين قرية كل واحدة تكاد تكون بليدة إلا أن ملك الهنكر لا يمكننا أن نعمل على شيء منها سوراً خوفاً من أن نعصي عليه ونحن في وسط بلاد النصرانية فشماليها بلاد الصقالبة ، وقبيلنا بلاد البابا ، والبابا رئيس الافرنج وهو

عندهم نائب المسيح مثل أمير المؤمنين عند المسلمين ينفذ أمره في جميع ما يتعلق بالدين في جميعهم وقال : وفي غريتنا الاندلس وفي شرقينا بلاد الروم قسطنطينية وأعمالها • قال : ولساننا لسان الافرنج وزينا زينا ، ونخدم معهم في الجندية ونغزو معهم كل طائفة لأنهم لا يقاتلون إلا مخالفين الاسلام فسألته عن سبب إسلامهم مع كونهم في وسط بلاد الكفر فقال : سمعت جماعة من أسلافنا يتحدثون أنه قدم إلى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد بلغار وسكنوا بيننا وتلفوا في تعرفنا ما نحن عليه من الضلال وأرشدونا إلى الصواب من دين الاسلام فهدانا الله والحمد لله فأسلمنا جميعاً وشرح الله صدورنا للإيمان ونحن تقدم الى هذه البلاد وتفتقه ، فاذا رجعنا الى بلادنا أكرمنا أهلها وواوينا أمور دينهم (١) •

وظل أمر الإسلام قائماً بين الباشغردية من أهل المجر حتى عام ٧٤١ هـ حيث أرغم الملك (شارل روبرت) جميع رعاياه الذين لم يكونوا نصارى أن يعتنقوا النصرانية أو يغادروا البلاد •

وبعد معركة (كسوفو) عام ٨٩٢ هـ دخل عدد من الصربيين في الإسلام ، وأصبحوا عوناً للعثمانيين ، وفي عام ٨٦٤ هـ أصبحت الصرب ولاية عثمانية على يد محمد الفاتح الذي سمح للكاثوليك أن يحلوا محل الذين فروا من أراضيهم •

وقد حرص النمساويون أهل الصرب على إذكاء نار الثورة ضد العثمانيين حتى اذا ما أخفقت هذه المحاولة فر من البلاد زعيم الثورة مع ٤٠ ألف أسرة إلى المجر عام ١١٠٢ هـ ، ثم تكررت هذه العملية عام ١١٥٢ فالتجأت ١٥ ألف أسرة أيضاً ، وحل محل هؤلاء الفارين الالبان

١ - معجم البلدان الجزء الثاني صفحة ٣٨ طبعة القاهرة ١٣٢٣ هـ •

سكان الجبال الذين نزلوا مكان الصربيين الذين غادروا ديارهم ، وبدأ الإسلام ينتشر بين قبائل الصرب بشكل بطيء .

أما الجبل الأسود فقد كان مركز المقاومة ، وبعد مدة دخلت أعداد من السكان في الإسلام وخاصة في المناطق القائمة على حدود المنطقة ، ولما رأى الأسقف دانيا (بتروفتش) انتشار الإسلام هاله الأمر فجمع القبائل عام ١١١٥ هـ وأخبرهم أن الأمل الوحيد لانتقاذ بلادهم ودينهم ينحصر في القضاء على المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم ، وكان من أثر ذلك أن الذين لم ينقضوا عهد الإسلام وأبوا أن يدخلوا في النصرانية من مسلمي الجبل الأسود أنهم قتلوا ليلة عيد الميلاد في ثبات ورباطة جأش (١) .

بدأ ضعف الدولة العثمانية يظهر، وبدأت الهزيمة تحل بها المرة تلو الأخرى حتى اضطرت عام ١٢٩٦ هـ إلى التنازل لدولة النمسا - المجر عن بلاد (البشناق) الذين وقعوا لأول مرة بعد اسلامهم تحت حكم غير المسلمين فهاجر كثير منهم إلى الأناضول والبلاد الأخرى التي بقيت تحت الحكم العثماني ، وكان الحكم النمساوي قاسياً على المسلمين يعمل على اضطهادهم وتشريدهم كما يحاول تنصيرهم، فحمل ذلك مرة أخرى الكثيرين من المسلمين إلى الهجرة إلى أراضي الدولة العثمانية .

وفي عام ١٣١٨ هـ ثار المسلمون بزعامة رئيسهم (علي فهمي جايتش) على النمساويين ، ونجح المسلمون في الحصول على استقلالهم الذاتي في

١ - الدعوة الى الاسلام سير توماس ارنولد ترجمة حسن ابراهيم حسن وشركاه طبعة مكتبة النهضة المصرية الثانية ١٩٥٧ على الرغم من ان الكتب الأوروبية تصور قسوة العثمانيين إلا انه لم يقع منهم مثل هذه الحادثة وأمثالها كثير وقد ذكرنا منها اضطهاد (البوجوميل) .

الأمر الديني عام ١٣٢٧ هـ •

واندلعت نار الحرب العالمية الأولى من هذه المنطقة إذ قتل ولي عهد النمسا وزوجته على يد أحد الشباب أثناء زيارته للمنطقة التي تتبع له ، وهزمت دولة النمسا المجر في الحرب ، وفرح المسلمون ، وأسست الدولة اليوغسلافية لأول مرة حيث ضمت السلاف الجنوبيين ، وظن المسلمون أنهم قد تخلصوا من الاستعمار والاضطهاد النمساوي إلا أنهم وجدوا أنفسهم تحت ضغط آخر إذ غدر بهم الارثوذكس وتحت شعار الإصلاح الزراعي أخذوا منهم أراضيهم وأعطوها للارثوذكس عام ١٣٣٧ هـ فأدى ذلك إلى إفقار المسلمين فلم يزدادوا خلال أكثر من نصف قرن إلا بمقدار ٦٠ في المائة بينما ازداد غيرهم ١٢٣ في المائة في المدة نفسها مع العلم أن المسلمين أكثر زيادة من غيرهم بكثير وهذا يعود إلى هجرة الكثيرين وتشريد الأعداد الكبيرة منهم •

ولقد كان البشناق أكثرية قبل سيطرة النمساويين على بلادهم إلا أن النمساويين لم يكادوا يقومون بعملية الإحصاء حتى هاجر كثير من السكان ودخل كثير من النصارى لإعمار الأراضي التي هجرها أصحابها ونتيجة الإحصاء كانت نسبة المسلمين في البوسنة والهرسك ٣٨٧ في المائة وبقيت هذه النسبة في تدنٍ حتى عام ١٣٥٠ هـ حيث كانت ٣٠٩ في المائة ، وكان عدد (البوشناق) الذين هاجروا في هذه المدة أكثر من ٣٠٠ ألف بوشناقي عدا الاتراك والشعوب الأخرى وقد هاجر جميع الشركس الذين كانوا يقيمون في المنطقة •

أسس المسلمون الحزب الإسلامي برئاسة الدكتور (محمد سباهو) ١٣٣٨ هـ وشكل عدداً من الحكومات بين الحريين ، وقامت الحرب العالمية الثانية ، وحدثت مذابح بين المسلمين والارثوذكس من جهة وبين الكاثوليك من جهة ثانية ، وبعد الحرب تسلم الشيوعيون الحكم •

وغدروا بالمسلمين ، كما غدر بهم الارثوذكس بعد الحرب العالمية الأولى ،
وتعرض المسلمون لمذابح كثيرة ، ولتهديم مساجدهم ومدارسهم الدينية
ومؤسساتهم وسادت موجة عنيفة ضد الدين عامة وضد المسلمين بشكل
خاص حيث أريد ٢٤ ألف مسلم بعد الحرب مباشرة (١٥ ألف من منطقة
(طولزا) شرق مقاومة البوسنة و ٣ آلاف في مدينة سراجيفو و ٦ آلاف
من مقدونيا وكوسوفو) وهدم مسجد مدينة (زغرب) عاصمة (كرواتيا)
وقتل مفتي المقاطعة الشيخ (عصمت مفتيتش) والعالم الشيخ (مصطفى
يوصولايتش) واغلقت الكلية الإسلامية العليا للتربية الإسلامية في
(سراجيفو) وجميع المدارس الدينية باستثناء واحدة فقط أبقوا عليها
للدعاية وحكموا على ١٢ عالماً بالأشغال الشاقة منهم (الشيخ قاسم دوراجا
تشيخ علماء البوسنة والهرسك) و (الشيخ عبد الله دروسيوفتش)
وحكمت محكمة (سكوبيا) في مقدونية على سبعة عشر زعيماً البانياً من
الالبانيين الذين يقيمون في يوغسلافية بالاعدام ، وبعد عام حكمت على
ثلاثة بالاعدام وعلى ٢٤ بالأشغال الشاقة ، كما اعدم أربعة من زعماء
جمعية الشبان المسلمين في (سراجيفو) وحكم على تسعة آخرين بالأشغال
الشاقة ، ثم صدر قرار بإلغاء المحاكم الشرعية في يوغسلافية ، وكان في
بلغراد مائتا مسجد ، بقي واحد منها فقط هدمت منذته .
وتنفذ الأحكام قبل انعقاد المحكمة التي ربما يكون اجتماعها بعد
مدة طويلة من التنفيذ .

والمسلمون في يوغسلافية اليوم كمجموعات كبيرة هم :

- ١ - البشناق ، وهم يشتركون مع الصرب والكروات في اللغة
والجنس أي من أصل سلافي ويتكلمون لغة سلافية .
- ٢ - الألبانيون .
- ٣ - الأتراك .

هذا بالإضافة الى المسلمين الآخرين من الصرب والكرواتيين ، وعدد
هذه المجموعات هو كما يلي :

المجموعة	العدد ١٣٥٠ هـ	العدد ١٣٩١ هـ	الزيادة المئوية
البشناق	١٠١١٠٠٠	١٥٢٠٠٠٠	٥٠٢ في المائة
الالبان	٠٤٠٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠	٢٠٠ في المائة
الأتراك	٠١٥٠٠٠٠	٠٣٨٠٠٠٠	١٥٣ في المائة
بقية المجموعات	٦٦٠٠٠	٠١٠٠٠٠٠	٥٠١ في المائة
مجموع المسلمين	١٦٢٢٧٠٠٠	٣٢٢٠٠٠٠٠	٩٩ في المائة
مجموع غير المسلمين	١٢٣٧٣٠٠٠	١٧٤٠٥٠٠٠	٤٠٦ في المائة
المجموع العام	١٤٠٠٠٠٠٠	٢٠٦٠٥٠٠٠	
نسبة المسلمين المئوية	١١٦ في المائة	١٥٦ في المائة	

والمجموعات الإسلامية لا تتزايد بالنسبة نفسها فأكثرها تزايداً
المجموعة الألبانية فالتركية فالبوشناق ومع ذلك يبقى البوشناق أكثر
تزايداً من أية مجموعة أخرى غير الإسلامية .

ومع هذه النسبة من الزيادة فلن تمضي مدة طويلة حتى يصبح
المسلمون في يوغسلافية يشكلون ربع عدد السكان .

أما توزيع هذه المجموعات بالنسبة الى المقاطعات فان البوشناق
يكثرون في جمهورية (البوسنة والهرسك) وأما الألبانيون فيكثرون في
اقليم (كوسوفو) وبعضهم في (الجبل الأسود) ، أما الأتراك فمعظمهم
يعيش في جمهورية (مقدونيا) ، أما بقية المجموعات فالمسلمون هم الذين

أعتنقوا الإسلام من سكان بقية المناطق • أما عدد المسلمين بالنسبة إلى المقاطعات فهو كما يلي :

اسم المقاطعة	عدد السكان	عدد المسلمين	نسبة المسلمين المتوية
صربيا	٩.٠٠٠.٠٠٠	١.٤٥٠.٠٠٠	١٦١ في المائة يتجمع معظمهم في اقليم كوسوفو
سلوفينيا	١.٦٥٠.٠٠٠	—	—
كرواتيا	٥.٠٠٠.٠٠٠	٠.١٠٠.٠٠٠	٢. في المائة
البوسنة والهرسك	٤.٢٥٠.٠٠٠	١.٤٢٣.٧٥٠	٣٣.٥ في المائة
مقدونيا	١.٧٠٠.٠٠٠	٠.٣٨٧.٠٠٠	٢٢.٧ في المائة
الجبل الاسود	٠.٦٠٠.٠٠٠	٠.٠٧٥.٠٠٠	١٢.٥ في المائة
المجموع العام	٢٢.٢٠٠.٠٠٠	٢.٤٣٥.٣٥٠	١٥.٦ في المائة

ويعتقد أن عدد المسلمين اليوم يزيد على ٤ ملايين نسمة وأن نسبتهم أكثر من هذه النسبة حيث الاحصاءات متناقضة ومتباينة •

أما من حيث الديانات الاخرى فيشكل الارثوذكس أكبر نسبة ، وان كانوا يقلون في سلوفينا وكرواتيا حيث يكثر الكاثوليك •

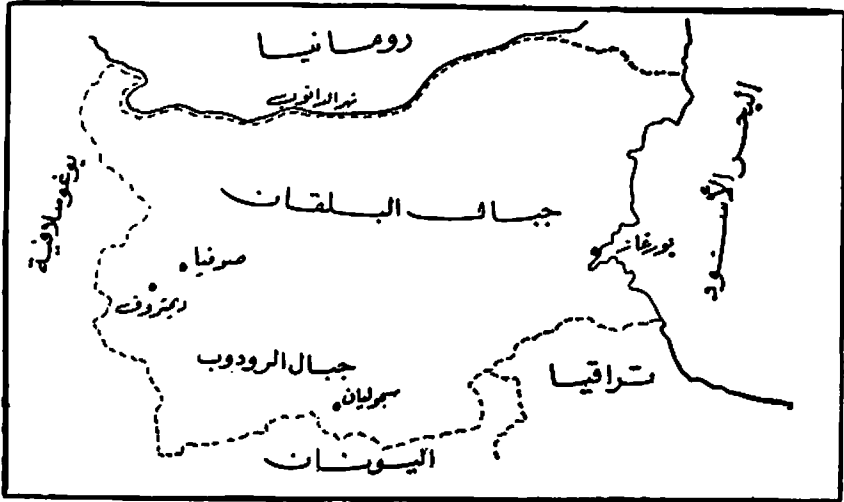
وهناك أعداد من اليهود لا يزيدون على ٢٠٠٠ نسمة ، يعيش قسم منهم في مقاطعة (سلوفينيا) والآخر في صربيا •

ولكل جمهورية لغتها الرسمية كالسلوفينية والصربية والكرواتية والمقدونية وكذلك الابانية في اقليم كوسوفو أما الكرواتية والصربية فهما في الحقيقة لغة واحدة ولكنهما تكتبان بحروف مختلفة فالصربية تكتب بالحروف الروسية بينما الكرواتية تكتب باللاتينية •

ويعترف الآن القانون اليوغسلافي بحرية الاديان، ويقوم المسلمون بتأدية شعائرتهم بحرية ، ويوجد اتحاد اسلامي يشرف عليه رئيس العلماء ويوجد مجالس للعلماء في عواصم جمهوريات البوسنة والهرسك والجبل الأسود ومقدونيا واقليم كوسوفو كما يوجد مدارس عليا للعلوم الإسلامية في كل من (سراجيفو) عاصمة البوسنة والهرسك و (سكوبيا) عاصمة مقدونية .

والبشناق أحسن حالا من إخوانهم الاتراك والالبانيين ، وقد أخذ عدد الحجاج اليوغوسلاف المسلمين يزداد في الآونة الاخيرة ووصل الى عدة آلاف .

ولعل من أهم المشكلات التي تعانيها يوغسلافية هو الخلاف التاريخي بين الكاثوليك والارثوذكس ويفكر الكاثوليك في الاستقلال في المنطقة الشمالية التي تضم كرواتيا وسلوفينيا .



الفضل الثالث

المسلمون في بلغاريا

بلغاريا دولة صغيرة تشرف على البحر الأسود ، تبلغ مساحتها ١١٠ر٩٢٨ كم^٢ أي أكبر من مساحة الاردن بقليل وتتألف أرضها من خمس مناطق هي :

١ - هضاب منخفضة في الشمال تميل نحو نهر الدانوب الذي يشكل معظم الحدود بين بلغاريا ورومانيا ، ويعيش السكان في قرى كبيرة ، ويمتهنون الزراعة ، وأهم أصنافها القمح والذرة .

٢ - جبال البلقان: ويصل ارتفاعها الى ٢٨٦٠ متراً ، وتنتج نحو الشرق تقطعها الأودية ، وتكثر عليها الاشجار ، ويعمل السكان في زراعة الأودية بينما يرعون حيواناتهم على المرتفعات .

٣ - أحواض الوسط : تنتشر عدة أحواض في الوسط تمتد من الغرب الى الشرق أولها حوض مدينة (صوفيا) العاصمة ، وتوجد فيها الحدائق ويزرع القمح والبطاطا ثم وادي (المارتيزا) ، وتتوالى الأحواض حتى البحر الأسود .

٤ - جبال رودوب : ويصل ارتفاعها في الغرب في قمة (بيكستالن) الى ٣٠٩٧ متراً ، وهي أعلى قمة في شبه جزيرة البلقان ، وتكثر فيها الأشجار ، وهي قليلة السكان .

٥ - ساحل البحر الأسود : وهو ضيق ، لأن المرتفعات تمتد الى

قرب الشاطئ، لذا تتناوب الأودية المنتهية الى خلجان مع التلال المنتهية برؤوس صخرية وتغطي المروج المرتفعات ، وتقوم عليها المراعي ، وتقوم زراعة القمح والشعير على التربة الخصبة .

يعمل السكان في الزراعة بنسبة ٧٥ في المائة منهم ، وتبلغ المساحة المزروعة ثلث مساحة البلاد الكلية ، وأهم الحاصلات الزراعية هي الكتان والتبغ والعنب والتوت والحبوب .

ويربي السكان من الحيوانات الاغنام والماعز .

وتحتوي أرض بلغاريا كميات من الثروة المعدنية أهمها : الفحم حيث تنتج ٦٠٠ ألف طن ، وبعض أنواع الليغنيت الذي يستخدم في توليد الطاقة الكهربائية وتقدر كمية الليغنيت بـ ١٦٥٠٠٠٠٠٠ طن ، ومعظم الفحم من مناجم « ديمتروف » غرب مدينة صوفيا إلى الجنوب قليلا ، ثم هناك النفط في أقصى الشمال الشرقي وتعطي مكانه ٢٥٠٠٠٠ طن ، ثم يوجد الحديد ٢٣٠٠٠٠ طن ، والرصاص ٧٠٠٠ طن ، والتوتياء ٦٨٥٠٠ طن ، وكميات من النحاس والمنغنيز والاورانيوم .

يلغ عدد سكان (بلغاريا) اليوم ٨٦٠٢٠٠٠ نسمة وبذا تقرب الكثافة العامة من ٨٠ شخص في الكيلو متر المربع الواحد .

والبلغار من أصل تركي قدموا من الشرق ، وغزوا هذه الاراضي التي كانت تنتقل فيها قبائل صقلبية من أصل سلافي لكن هؤلاء البلغار سرعان ما تعلموا لغة السلافيين وتكلموها ، وهي قرية اليوم من اللغة الروسية ، ثم دانوا بالنصرانية حوالي عام ٢٥١ للهجرة ، وعندما قامت الدولة العثمانية وبدأت تتوسع في أوروبا كانت بلغاريا من أولى البلاد التي دخلها العثمانيون إذ فتح (مراد الأول) صوفيا والجزء الجنوبي من بلغاريا عام ٧٧٤ هـ ، وفتح ابنه (بايزيد) الجزء الشمالي منها عام ٧٩٦ هـ ،

وعندما هزم العثمانيون أمام (تيمورلنك) خرجت من سيادة العثمانيين ، ولكنها لم تلبث أن عادت أيام محمد الفاتح وبقيت تخضع للدولة العثمانية حتى عام ١٢٩٦ هـ إثر مؤتمر برلين حيث نالت الاستقلال الذاتي ، وكذا نالت منطقة الرومييلي الشرقية استقلالها الذاتي عام ١٣٠٣ هـ وبقي هذا الامر حتى عام ١٣٢٦ حيث استقلت وأسست مملكة خاصة بها تعرف باسم (مملكة بلغاريا) .

في أثناء الحكم العثماني استقر في المنطقة عدد من العثمانيين ، كما اعتنق الاسلام عدد من البلغاريين ولو اهتم الحكام المسلمون بنشر الاسلام كما اهتموا بالجانب العسكري لكانت المنطقة اسلامية كاملة وليس هذا الكلام مجرد ظن وانما يثبت الواقع فما دخل المسلمون منطقة الا سادها الاسلام .

وقد انحازت بلغاريا الى جانب الالمان في الحريين العالميتين ونالها من أثر الهزيمة ما نالها . وتسلم الشيوعيون الحكم في بلغاريا إثر الحرب العالمية الثانية ونال المسلمين ما نالهم من اضطهاد ، حقداً على الاسلام عامة وعلى الاتراك خاصة والاتراك يشكلون جزءاً كبيراً من المسلمين هناك .

يبلغ عدد المسلمين ما يقارب مليون ونصف المليون نسمة ، ويرفع السكان المسلمون هذا العدد الى المليونين ، ومع هذا الرقم فليست لهم مدارس خاصة بهم ، ويمنعون من الحج ، كما يمنعون من اقتناء المصاحف ، ومن الهجرة ، وليس لهم وجود في المؤسسات ودوائر الدولة على الرغم من نسبتهم الكبيرة ، ولهم ١٢٠٠ مسجد ، ويرعى شؤونهم مفت أكبر ، ويتوزعون في ست مناطق ، ويغلب عليهم طابع الفقر والبؤس وتعتمد مناطقهم من أكثر المناطق تخلفاً بالنسبة الى البلاد .

وان تكاثر المسلمين كان وما يزال يسبب قلقاً مستمراً للسلطات الحاكمة مما جعلهم يفكرون في وسيلة لاذابتهم في المجتمع البلغاري وذلك بمحو طابع الاسلام ولتحقيق هذا الهدف ارتأى المسؤولون في بلغاريا في منتصف القرن الرابع عشر الهجري وضع مشروع شامل يبدأ بتنصير المسلمين بصورة جماعية وذلك بطريق العنف اذا اقتضى الأمر وقد تصدى المسلمون لهذا المشروع وقاوموه مقاومة قوية وذهب الكثير منهم الى انسجون ومات بعضهم ضحية تحت سياط التعذيب الوحشي •

وعندما تسلم الشيوعيون السلطة ألغى هذا القرار الغاء مؤقتاً لكسب المسلمين الى جانبهم وفي الآونة الاخيرة بعث الشيوعيون الموضوع من جديد وبشكل أكثر عنفاً وبربرية وذلك يعطي الدليل الواضح أن العداء للاسلام وأن الشيوعية لا تختلف عن الرأسمالية في هذا وقبل أن نتحدث عن المشروع الشيوعي لابد من أن نعطي صورة عن المسلمين وزيادتهم •

والمسلمون في بلغاريا ثلاث مجموعات هي :

١ - الترك : ومعظمهم من أصل عثماني وليس فيهم الا عدد ضئيل من التتار الذين نزحوا إلى المنطقة من بقية أرجاء الامبراطورية الروسية ولا يزيد عدد هؤلاء التتار على ١٠ آلاف وأهم مراكزهم (بورغاز) .

٢ - البلغار : الذين يكثرون في الجنوب في جبال (الرودوب) وأشهر مدنها (سموليان) ويسمى هؤلاء - البلغاريون باسم « البوماك » .

٣ - الفجر : ومعظم الفجر الذين في بلغاريا هم من المسلمين وهم من البدو الرحل . وعدد هذه المجموعات في الآونة الأخيرة كما يلي :

- ٢٢٠ -

المجموعة	١٣٦٩	١٣٧٦	١٣٩١	الزيادة المئوية
الأتراك	٦٨٣ر٠٠٠	٧٤٠ر٠٠٠	٨٩٠ر٠٠٠	٣٠ في المائة
البلغار	١٥٠ر٠٠٠	١٩٠ر٠٠٠	٣٢٠ر٠٠٠٠	١١٣ في المائة
الفجر	١١٥ر٠٠٠	١٤٥ر٠٠٠	٢٤٠ر٠٠٠	١٠٩ في المائة
مجموع المسلمين	٩٤٨ر٠٠٠	١ر٠٧٥ر٠٠٠	١ر٤٥٠ر٠٠٠	٥٣ في المائة

وان قلة تزايد الأتراك انما تعود إلى هجرة الكثير منهم إلى تركيا كلما سنحت لهم الفرصة ولكن على الرغم من هذه الزيادة القليلة فانها ضعف زيادة غير المسلمين ويمكن ان نلاحظها في الجدول التالي :

المجموعة	١٣٦٩	١٣٧٦	١٣٩١	الزيادة المئوية
غير المسلمين	٦٠.٧٤ر...	٦٥.٢٥ر...	٧١.٥٢ر...	١٥ في المائة

وبهذه الزيادة التي يتفوق فيها المسلمون على غيرهم فإن نسبتهم تزداد بشكل دائم ويمكن أن تتوضحها في الجدول التالي :

المجموعة	١٣٦٩	١٣٧٦	١٣٩١	الزيادة المئوية
المسلمون	٩٤٨ر...	١٠.٧٥ر...	١٤.٥٠ر...	٥٣ في المائة
غير المسلمين	٦٠.٧٤ر...	٦٥.٢٥ر...	٧١.٥٢ر...	١٥ في المائة
المجموع العام	٧٠.٢٢ر...	٧٦.٠٠ر...	٨٦.١٢ر...	
نسبة المسلمين	١٣ر٣ في المائة	١٤ر١ في المائة	١٧ في المائة	

ويتلخص المشروع الشيوعي الجديد في النقاط التالية :

١ - تغيير أسماء المسلمين الى أسماء بلغارية ، واتبعت في ذلك الخطوات التالية :

- أ - يعطى للمسلمين طلبات جاهزة يسجل فيها رب الاسرة اسمه واسماء أفراد عائلته ومايقابلها من اسماء بلغارية التي يختارها لنفسه ولأفراد أسرته من بين قائمة اسماء مرفقة من قبل السلطات الشيوعية .
- ب - عدم تسجيل المواليد الجدد باسماء اسلامية .
- ج - لا تتم اجراءات الزواج وتسجيله الا باسماء غير اسلامية .

د - لاتعطى شهادات من أي نوع أو هوية الا باسماء غير اسلامية .

هـ - لاتصرف مرتبات العمال والاجور إلا بعد تغيير الاسماء .

هذه بالاضافة الى عدة اجراءات تمسقية اخرى تجعل من العسير بل من المستحيل على أي مسلم أن ينجز أبسط الاعمال إلا بعد تغيير اسمه .

٢ - بدأت السلطات الشيوعية في منع النساء المسلمات من ارتداء الزي الاسلامي فلاتستطيع المرأة المسلمة بزيها الاسلامي أن تشتري أبسط الحاجيات من تعاونيات الدولة .

٣ - صدرت الاوامر بإلغاء مقابر المسلمين على أن يكون هناك مقابر موحدة للجميع من مسلمين وغيرهم وأن تلغى اجراءات الدفن كافة والتي تقوم بالطريقة الاسلامية .

٤ - منع النحر في عيد الاضحى المبارك .

تقدم المسلمون بمريضة الى الحزب الشيوعي لأنه الجهة الوحيدة التي يسمح لهم بالتحدث معها - اليها فكان الرد أنه يجب عليهم مسابقة تطور الديالكتيك الماركسي .

وبعد فلا يزال المسلمون يقاومون هذه الاجراءات التي تتنافى مع أبسط حقوق الانسان والمبادئ الانسانية فالمسلمون يقادون بالعشرات يومياً إلى السجون ويكابدون أشد أنواع العذاب النفسي والبدني^(١) . وقد أيد عدد ممن عارض هذه الاجراءات .

وهدمت المساجد في بلغاريا ، ولم يبق سوى مسجد واحد للصلاة في العاصمة (صوفيا) ، وقد استعملت بعض أبنية المساجد لأغراض أخرى ، فالمتحف في (صوفيا) أصله مسجد أزيلت منارته . ولليهود مركز كبير في الحزب الشيوعي البلغاري .

(١) عن مجلة الغرباء السنة العاشرة - العدد الثالث تموز آب

وفي بلدان أوروبا الشرقية التي تخضع للنفوذ الشيوعي مجموعات
اسلامية صغيرة .

ففي رومانيا كان عام ١٣٥٨ للهجرة ٢٦٠٠٠٠ نسمة من المسلمين
ولكن هذا العدد بقي عام ١٣٧٨ هـ ٥١٠٠٠ فقط معظمهم من الانراك
التتار اذ أن القسم الكبير من المسلمين كان ضمن المناطق التي احتلتها
روسيا وضمتها اليها من رومانيا ولهؤلاء المسلمين مفت أعلى يقيم في
مدينة (كونسطنطة) على ساحل البحر الاسود .

وفي بولنده مايقرب من ١٥٠٠٠ تتاري مسلم .
وفي المجر والمانيا الشرقية وتشيكو سلوفاكيا عدة آلاف من الاتراك
وقد ذكرنا المجموعة الاسلامية الأولى التي انقرضت في بلاد المجر .
كما توجد جماعات اخرى في (ليتوانيا) على البحر البلطيق وقد
استقرت هذه المجموعة من التتار هناك في اوائل القرن التاسع الهجري ،
وقد احتفظوا بدينهم بين السكان النصارى ، وحاولوا نشر دينهم، فبدؤوا
ينزجون بالفتيات اللتوانيات والبولنديات .



الفهرس

الصفحة	الموضوع
٢	مقدمة
١٣	المسلمون تحت السيطرة الصينية
١٤	تركستان الشرقية (الصينية)
١٦	الحياة البشرية
٢٤	المسلمون في الصين
٢٧	المسلمون تحت السيطرة الروسية
٢٨	تركستان الغربية
٢٨	الحياة الطبيعية
٣٠	الحياة البشرية
٣٤	قازاقستان
٣٥	اوزبكستان
٣٦	تركمانستان
٣٦	قيرغيزيا
٣٧	طادجيكستان
٣٨	المسلمون في روسيا
٣٩	انتشار الاسلام
٤٨	ديانات روسيا
٥١	اهداف الروس
٥٢	موقف الدول الأوروبية
٥٤	الحرية الدينية
٥٦	إلغاء الحرية الدينية

الجمهوريات الإسلامية

٦٠	جمهورية باشكيريا
٦٣	جمهورية تتاريا
٦٦	جمهورية الجوفاش
٦٦	جمهورية موردوف
٦٦	جمهورية أدمورت
٦٨	جمهورية ماري
٦٨	القرم
٧٥	سيبيريا
٧٨	قفقاسيا
٨١	وصول الاسلام
٨٣	الجراكسة
٨٤	الداغستان
٨٦	بقية القبائل
٩١	أذربيجان
٩٤	جمهورية ناخيتشيفيان
٩٤	مقاطعة قره باخ
٩٦	أرمينيا
٩٧	جورجيا
٩٨	أبخازيا
٩٩	أجارتيا
٩٩	أوستينا الجنوبية
١٠٠	داغستان
١٠٢	شاشان أنغوشيا
١٠٣	أوستينا الشمالية
١٠٤	فابرديا بلكاريا

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١٠٥	كرايشاي الشركسية
١٠٦	الاديفة
١٠٧	المسلمون في البلقان
١١٢	البانيا
١٨	المسلمون في يوغسلافية
١٣٠	المسلمون في بلغاريا
١٣٤	مجموعات المسلمين في بلغاريا
١٣٥	المشروع الشيوعي للقضاء على الاسلام

للمؤلف

مواطن الشعوب الإسلامية

في آسيا	في إفريقيا
١ - تركستان الغربية	١ - غينيا
٢ - تركستان الشرقية	٢ - نيجيريا
٣ - قفقاسيا	٣ - الصومال
٤ - باكستان	٤ - موريتانيا
٥ - أندونيسيا	٥ - أرتيرية والحبشة
٦ - اتحاد ماليزيا	٦ - تشاد
٧ - المسلمون في الفيليبين	٧ - تانزانيا
٨ - المسلمون في قبرص	٨ - السنغال
٩ - فطاني	٩ - أوغندا
١٠ - جزر المالديف	١٠ - ليبيا
١١ - افغانستان	١١ - السودان
١٢ - تركيا	١٢ - جزائر القمر
١٣ - ايران	١٣ - المسلمون في بورندي
١٤ - شبه جزيرة العرب	١٤ - مالي
أ - عسير	١٥ - سيراليون
ب - نجد	١٦ - النيجر
ج - الحجاز	
د - البحرين	
هـ - اليمن	
و - عُمان	
١٥ - المسلمون في الهند الصينية	